سلسلة: من القرآن إلى العمران (٦)

ميثاق العهد

في مسالك التعرف إلى الله

فريد الأنصاري

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة


ميثاق العهد
في مسالك التعرف إلى الله

الطبعة الثالثة

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

الأنصاري، فريد.
ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله/ تأليف فريد الأنصاري. - ط١ - القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٠م.
١٣٦ ص؛ ٢٠ سم. (سلسلة من القرآن إلى العمران؛٦)
تدمك ٣ - ٩٨٤ - ٣٤٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١ - علم الكلام.
أ - العنوان.
ب - السلسلة
٢٤٠

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م، حصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م، ٢٠٠٠م، ٢٠٠١م في عشر الجائزة تتويجاً لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة: القاهرة: ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المتفرع من شارع نور الدين بهجت - الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد - مدينة نصر
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة: فرع الأزهر: ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف: ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة: فرع مدينة نصر: ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف: ٢٠٨٠٢٨٧٦ (٢٠٢ +)
فاكس: ٢٠٨٠٢٦٨٠ (٢٠٢ +)
المكتبة: فرع الإسكندرية: ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا: القاهرة: ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال رب العزة ﷻ :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة: ٧].

﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥].

وقال رسول الله ﷺ:

« تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » (*).

(*) رواه أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أبي هريرة مرفوعًا، ورواه الطبراني عن ابن عباس. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم (٢٩٦١).



فِهْرِسُ المُحتَوَيَاتِ

مقدمة ٧

الفصل الأول: في تأصيل العهد وميثاقه ٢١

تبصرة: كيف توثق العهد؟ ٣١

الفصل الثاني: في عهد الذِّكر ٣٥

تبصرة: في أن الذِّكر هو مسلك المُفَرِّدين السابقين ٣٨

تبصرة: كيف تذكر الله؟ ٤٢

تبصرة: في مسلك الذكر القرآني ٤٩

تبصرة: في أخذ القرآن بمنهج (التَّلَقِّي) ٥٠

تبصرة: في مسلك الذكر النبوي ٥٦

تبصرة: في مجلس الذكر ٦١

الفصل الثالث: في عهد القرآن والقيام ٦٥

تبصرة: في أوقات القرآن ٦٩

تبصرة: في قرآن القيام ٧٣

الفصل الرابع: في عهد البلاغ ٨١

تبصرة: في المفاتيح الثلاثة ٨٤

تبصرة: كيف البلاغ؟ ٩٠

الفصل الخامس: في المختار من الأذكار ٩٣

تبصرة ١١٢

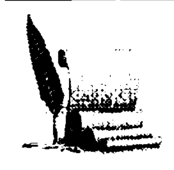
تبصرة: في براق الأوراد ١١٤

تبصرة: في صوم المقلّين السابقين ١٢٢

خاتمة ١٢٤

السيرة الذاتية للمؤلف ١٢٩

* * *



مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ الرساله، وأدى الأمانة، ونصح الأمه، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار

ثم أما بعد:

فيا أيها العبد الحائر الحزين ذكر الله هو باب الفرج ! تلك هى البصيرة الأولى التى اهديك بين يدى هذه الورقات ! ولك أن تشاهد شعاعها الرقراق بنفسك إن شئت ! فاخرج أولا من ظلمات ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ [الكهف: ١٠١] وادخل بصيرة ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

فأيقظ قلبك! وألقِ سمعك! [(١)] ثم شاهد معي! فإنما كلمات هذه الرسالة مشاهدة!

استعد - أولًا - لتلقي آيات القرآن كلامًا من عند الله رب العالمين!

ثم انظر إلى مشرق النور.. هذا رسول الله ﷺ ينتصب بين يديك إمامًا معلمًا ومربيًا، يلقي كلمات النبوة بلاغًا عن الله! فتأدب بأدب مجالس النبوة، وأنصت!

اقرأ وتدبر! ثم أبصر!.. تلك كلمات البدء، فخذ لها الآن فترةً للتدبر والتفكر؛ حتى تستطيع الحضور، وتكون من المبصرين!

فإذا كنتَ جاهزًا فلنبدأ معًا قصة السير إلى الله:

انظر إلى الأرض كيف تجري في دورتها بين دفتي الليل والنهار، تسير إلى محطتها الأخيرة!

نحن هنا مسافرون كرهًا لا طوعًا! عمرك المحدود بأجله هو الرحلة! رحلة ليس بيدك توقيت انطلاقها، ولا موعد وصولها.. وليس بيدك إيقاف السير ولا لثانية واحدة! هل تستطيع إيقاف الأرض عن الدوران؟... الأرض غاربة حتمًا يا صاح! والعمر راحل لا يستشيرك! فتأمل! ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ

---

(١) إلقاء السمع: الإنصات الكامل الشامل؛ بما يضمن المشاهدة القلبية، كما سيأتي بيانه بحول الله.

إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق: ٦].

فإما لقاء المحبين؛ وإما لقاء المحاربين!

نعم، أنت راحل لا اختيار لك! ولكن لك أن تختار الاتجاه، ما بين معارج الدرجات ومهاوي الدركات! أي ما بين طريق العالم العلوي، وطريق العالم السفلي! فالأرض تدور بين شروق وغروب، وإنما السعيدُ من حوَّل الاتجاه إلى مشرق النور، حيث الخلود الجميل.. فإذا السفر يتحول من وحشة مظلمة إلى أُنْسٍ عظيم باللَّه! ذلك طريق النور، فافتح عينيك، وتدبر، ثم أبصر! فإنما هو: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥]. فاحرص أولًا على تحديد الاتجاه!

أما سلوكه فيكون بثلاثة أسباب تدخل أبوابها، وثلاثة موانع تقطع حبالها!

فأما **الأسباب** فهي: الدخول في التقرُّب، وتذوق المحبة، وطلب الولاية. وبعضها وسيلة لبعض، ومحطتها الأخيرة على باب الفردوس الأعلى! فما كان لمن تقرَّب إلا أن يحب، وما كان للمحبِّ إلا أن يكون محبوبًا، وما كان للمحبوب إلا أن يكون وليًّا! وهنالك ينتصب حصن اللَّه الحصين لوليه المحبوب؛ تسديدًا وتأييدًا، مَنْ قَصَدَهُ بالأذى - يا وَيْلَهُ! - كان من الهالكين! تلك خلاصة حديث الولاية القدسي، الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه، قال ﷺ: « **إن اللَّه تعالى قال:**

من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب! وما يتقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه! » [١].

أما كيف تتقرب؟ وكيف تتذوق المحبة؟ لتكون منهم؛ فبيانه رهين بمتابعة خطوات الرحلة بهذه الرسالة، في قصة التعرُّف إلى اللَّه، فلنتقدم!

أما الموانع فحبال تشدك إلى ثلاث فتن: فتنة النفس، وفتنة الشيطان، وفتنة الزمان، فللنفس أهواء تؤجِّجها الشهوات، وللشيطان وسوسةٌ لا تَخْنُسُ إلا بذكر اللَّه! وللزمان ظلماتٌ يبوء بها الإنسان؛ بما عَبَدَ من الهوى، وبما وسوس إليه الشيطان!

ولفتن هذا الزمان خصوصٌ رهيب! فهل بقي شكٌّ في أننا نعيش الآن زمان تتابع الفتن، وتواتر المحن؟ على ما ورد في قول رسول اللَّه ﷺ: « **تكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم! يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا! ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا! يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا** » [٢].

وهل بقي شكٌّ في أنه قد أطلت فتن بأعيانها وبأسمائها،

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٢٩٩٣).

كما في حديث رسول اللَّه ﷺ، من مثل (فتنة القَطْر) المذكورة فيما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أشرف على أُطُم من آطَامِ المدينة [١]، ثم قال: « **هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم، كمواقع القَطْر!** » [٢].

لقد أبصر النبي ﷺ بعين الغيب - مما علَّمه اللَّه - صورةً من الفتن النازلة بالناس، من بعده ﷺ. فشبَّهها بالمطر، إذ يعمُّ بسقوطه كلَّ شيء من البلاد والعباد! ورغم أن بعض شُرَّاح الحديث قد حققوا مناطه - اجتهادًا - على فتنة الصدر الأول، من القرن الأول الهجري، وأوَّلُوه بها، إلا أن الأمر يبدو أكثر انطباقًا على زماننا هذا! فالتعبير هنا في هذا الحديث النبوي دقيق جدًّا! وعجيب جدًّا! وهو أشبه ما يدل على الخيوط الأثيرية لأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة، كالفضائيات، والإنترنت، والهواتف الجوالة، ونحو ذلك مما يُبَثُّ في الفضاء، ثم ينزل عبر الأقمار الاصطناعية على كل البيوت، وعلى كل العمران البشري في البر والبحر، وسائر الفلوات، تمامًا كنزول المطر! على حد تعبير النبي ﷺ: « **إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم، كمواقع القَطْر!** ».

---

(١) الأُطُم: بضمتين، هو: كل حصن مبني بحجارة على هيئة مربعة. جمعه: آطام. وقد كانت هناك في عهد النبي ﷺ آطام بضواحي المدينة لحراستها.

(٢) متفق عليه.

فَمَنْ إِذَنْ ينجو من فتن كهذه؟ كيف وهي تهطل على الناس كهطول المطر؟ إن لم يصبك قَطْرُه، أصابك وَحَلُه! وإن لم يصبك من عَلُ؛ أصابك من جانب، بل حتى من أسفل! مهما بالغت في الاحتراز والاحتياط!

ومن مثل فتنة (الأحْلاس)، وفتنة (السَّراء)، وفتنة (الدُّهَيْمَاء)، وكلها مذكورة في حديث النبي ﷺ، الذي رواه ابن عمر قال: كنا قعودًا عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس [١]، فقال قائل: يا رسول اللَّه! وما فتنة الأحلاس؟ قال: « **هي هَرَبٌ وحرْبٌ! ثم فتنة السَّراء [٢]: دَخَنُهَا من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني وليس مني! وإنما أوليائي المتقون. ثم يَصطلح الناس على رجل كَوَرِكٍ على ضِلَعٍ [٣]، ثم فتنة**

---

(١) الأحلاس: جمع حِلْس، وهو لباس الدواب المركوبة من الإبل والخيل ونحوها، مما يوضع تحت الرِّحال. وهو في هذا الحديث كناية عن كثرة الجيوش والمقاتلين!

(٢) السَّراء: هي ما يَسُرُّ الناس وُيفْرِحُهُم. والمقصود هنا أنها تسر الناس بظاهرها لا حقيقة، وإنما هي تستدرجهم بذلك إلى شرٍّ عظيم، والعياذ باللَّه!

(٣) الوَرِك: هو مؤخر الإنسان مما يكون عليه الجلوس من مقعدته، والضلع: هو عظم الصدر. والمقصود أن الناس في العالم بعد حرب واقتتال يصطلحون على أن يخضعوا لحاكم معين، يجلس على كرسي أعوج كالضلع؛ كناية على هشاشة الاتفاق، وبذلك لا يدوم أمن الناس إلا قليلًا، حتى ينقلب عليه بعضهم؛ فتنطلق الفتن مرة أخرى!

الدُّهَيْمَاءِ[١]: لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة! فإذا قيل انقضت تمادت! يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا! حتى يصير الناس إلى فُسْطَاطَيْنِ: فسطاطِ إيمان لا نفاق فيه، وفسطاطِ نفاق لا إيمان فيه! فإذا كان ذاكم فانتظروا الدَّجَّال من يومه أو من غده! »[٢].

فالفتنة الأخيرة من هذه الفتن المتعاقبة التي سماها رسول الله ﷺ بالدُّهَيْمَاء؛ كناية عن شدة ظلمتها واسودادها، وانتشار بلائها، هي فتنة تستمرُّ زمنًا طويلًا، ما شاء الله! وهي فتنة عامة شاملة، لا تدع بادية ولا مدينة، ولا دولة، ولا إنسانًا، من هذه الأمة الإسلامية؛ إلا أصابته بصورة أو بأخرى - والعياذ بالله - إصابة مؤذية مؤلمة! ولذلك قال: **« لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمَته لطمة »!** أنت إذ تقرأ هذه الأحاديث كلها - مما سبق ومما سيأتي - تجد أنها تُجمع على هذا النوع من الفتن العام الشامل الذي لا يمكن التحرز عنه! تمامًا كفتن الإعلام المحمل بالثقافات الغازية المدمرة، والملغم بريح العولمة اللاهبة! لا يكاد لهيبها يفتر فيظن الناس أنها خمدت؛ حتى تنطلق من جديد، في

---

(١) الدُّهَيْمَاء: تصغير دَهْمَاء، وهي الظلمة الشديدة. كناية عن خطورة تلك الفتنة وفظاعتها.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٤١٩٤).

غزو جديد! تمامًا كتعاقب مراحل الاستعمار، بشتى أنواعه وصنوفه ومستوياته، في القرون الأخيرة من التاريخ الحديث لهذه الأمة!

ثم تَتَفَتَّقُ عبقرية الشيطان اليوم عن أسوأ ما عرفته البشرية من الفتن! في اختراق الشعوب، وضربها في أخص خصائصها، وفي جوهر هويتها! فلا يسهل دفع مثل هذا البلاء؛ لطبيعته (العولمية) الشاملة؛ ثقافيًا، واجتماعيًا، واقتصاديًا، وتقنيًا، وعسكريًا! ولذلك قال الرسول ﷺ في وصف الدُّهَيْمَاء المذكورة: « **فإذا قيل انقضت تمادت! يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا!** ».

وهذا يؤدي - في نهاية المطاف - إلى افتراق الناس في العالم الإسلامي، إلى (فُسْطَاطَيْنْ) واضحين، أي: إلى طائفتين. كما في نص الحديث: « **حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه!** » فماذا ينتظر المسلمون بعد ذلك؟ قال رسول الله ﷺ مجيبًا في نهاية الحديث: « **فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده!** » ذلك ما لا يراه الذين غشي الرَّان بصائرهم! والرَّان: هو (زفت) الذنوب والآثام، وجرائم التمرد على الله العلي العظيم، مما ذكره الحق سبحانه في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] [(١)]. أما الذين

(١) وقال النبي ﷺ في بيان ذلك: « **إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه** =

يبصرون بنور الله؛ فهم يقرؤون علامات ظهور الدجال كما يقرؤون ما كتبوه بخط أيديهم!

ومن مثل ذلك ما ورد أيضًا في قوله ﷺ: « سِتٌّ من أشراط الساعة: مَوْتِي، وفتح بيت المقدس، وأن يعطى الرجل ألف دينار فيتسخطها! وفتنة يدخل حرها بيت كل مسلم! وموت يأخذ في الناس كقُعَاص الغنم! [١]، وأن يغدر الروم فيسيرون بثمانين بندًا تحت كل بند اثنا عشر ألفًا! » [٢].

فما هذه (العولمة) - التي تدمر البلاد والعباد اليوم! والتي هي ريح صهيونية في الصميم - إلا قطعة من فتن ذلك الليل، الموصوفة في الحديث السابق بأنها « كقطع الليل المظلم! ».

إن الإنسان اليوم يفقد سكينة الإيمان، ويدخل في جحيم الحيرة؛ حيرة الضلال! لقد بدأت ريح العولمة فعلًا تحتل

= نكتة سوداء! فإن هو نزع واستغفر وتاب؛ صقل قلبه. وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه! وهو الران الذي ذكر الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم (١٦٧٠).

(١) قُعاص الغنم: بضم القاف، مرض يصيب الغنم فيهلكها إبادةً، بصورة مفاجئة!

(٢) رواه أحمد والطبراني، وصححه الألباني بصحيح الجامع الصغير، رقم (٣٦٠٨).

الإنسان قبل احتلال الأوطان! فتجرده من كل قيم الدِّين، ومن كل مشاعر الخضوع لرب العالمين! إن فتنة هذا العصر تصنع الإنسان المتمرد على اللَّه! هذا زمان إعلان الحرب على اللَّه! فما ينتظر الإنسان غير غضب رباني شديد؟

إلا أن حديثنا ههنا عن الفتن ليس لذاتها، وإنما هو لبيان طريق المخرج منها. فقد كان بعض الصحابة يسألون رسول اللَّه ﷺ عن الخير ليتزوَّدوا منه، وكان بعضهم يسأل عن الشر مخافةَ أن يدركه! والفقه في زماننا أن نسأل عن الخير الذي ينجي من الشر! وهو في الحقيقة موجود في المنهجين معًا. فعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: كان الناس يسألون رسول اللَّه ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافةَ أن يدركني! فقلت: يا رسول اللَّه! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا اللَّه بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: « **نعم** ». قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: « **نعم وفيه دَخَنٌ!** » قلت: وما دَخَنهُ؟ قال: « **قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر!** » قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: « **نعم، دعاةٌ إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها!** » قلت: يا رسول اللَّه! صفهم لنا! فقال: « **هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا!** » قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: « **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم!** » قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: « **فاعتزل تلك**

الفرق كلها! ولو أن تعض بأصل شجرة؛ حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك! » [١].

فهذه النُّذُرُ من ظلمات الفتن؛ بما هي علامات شر؛ هي كذلك علامات خير؛ لأن اللّٰه ما أباد جيلًا إلا جاء بخير منه! قال ﷻ: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦].

إن الواجب عليك أيها المسلم أن تبادر إلى الفرار إلى اللّٰه قبل فوات الأوان: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠]. وإنما الفرار إليه يكون بالتعلق بكتابه العظيم: القرآن الكريم، على سبيل السلوك إليه تعالى – كما نبين بحول اللّٰه – لإدراك قوارب النجاة من فتن هذا الزمان! والوصول إلى برِّ الأمان من رضى الرحمن.

فاعلم إذن! أن فتنة هذا العصر هي بداية خير جديد، وإعلان لبزوغ عصر القرآن! وظهور بعثة التجديد! فإما أن تركب مع موكب الربانيين؛ فتكون من الناجين، وإما أن تبقى مع المتخلفين؛ فتكون من الهالكين! وإنما (الربانيون) هم المتعلقون بالقرآن. قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا

---

(١) متفق عليه.

كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وفي قضية النجاة والهلاك، قال رسول الله ﷺ « أبشروا.. أبشروا.. **أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟** » قالوا: بلى، قال: « **فإن هذا القرآن سَبَبٌ** - أي: حَبْلٌ - **طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسَّكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدًا!** »[1].

يا أيها الحيران!... إن الله تعالى خلقك! فتذكر هذا جيدًا! خلقك ولم تكن مذكورًا! وبمقتضى ذلك ترتَّب على ذمتك حقٌّ عظيم! هو حق الخالقية! فماذا أديت لله تعالى منه؟ ذلك هو السؤال الذي على الإنسان - كل إنسان! - أن يرجع إليه؛ ليبدأ مسيرة التعرف إلى الله!

أما أنت أيها المسلم؛ فباعتبار أنه تعالى جعلك (مسلمًا)، وتلك نعمة أخرى أعظم وأكرم؛ فما عليك إلا أن تبادر إلى حمل رسالة القرآن، في زمان تخلى الناس فيه عن القرآن، يا ويلهم!

هذا هو (ذِكْرُ) هذا الزمان، زمان الفتنة الصماء البكماء! فَتَذكَّرْ! ثم تَذَكَّرْ! عسى أن تكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات!

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعبه، وابن أبي شيبة في مصنفه، والطبراني في الكبير، وعبد بن حميد في المنتخب من المسند. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٧١٣). نشر مكتبة المعارف بالرياض، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد، طبعة جديدة بتاريخ (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

من أجل ذلك؛ كتبت هذه الرسالة الصغيرة؛ عسى أن تكون نبراسًا عمليًا، ودليلًا تطبيقيًا. يتم بمقتضاه عقد الميثاق على الخير، وإبرام العهد على الصلاح والإصلاح، وعزم القصد على الانطلاق سيرًا إلى الله ﷻ ، عبر مدارج الإيمان إن شاء الله. وهي وإن كانت تفيد - من وجه - في بيان منهج التنزيل؛ فإنما لا تغني في بيان منهج التأصيل؛ إذ ليست موضوعة لذلك أصلًا. وإن ما ورد فيها من ذلك ما ورد تبعًا، لا أصالة؛ إذ هي أشبه ما تكون بالمذكرة التي يرجع إليها السائر إلى الله؛ لتبين الكيفيات، وتحقيق المناطات، وترتيب الأولويات، من حيث التطبيق والتنفيذ لخطوات الصلاح والإصلاح.

أما تأصيل النظر فقد فصّلناه في كتابنا (البيان الدعوي)، وأما تأصيل العمل فقد بيّناه في (بلاغ الرسالة القرآنية). وإنما استخرجت منه بعض هذه الرسالة الصغيرة قصدًا؛ لتكون - مع الإضافات - (آلة إجرائية)؛ لتصريف العمل الديني في الواقع الإنساني.

وقد كان الغرضُ من تقديمها؛ أن نعرض بلاغات الرسالة القرآنية في صورة عهد نوثّقه مع الله ﷻ، ومع صالح المؤمنين، عسى أن يكون ذلك حافزًا على دوام المجاهدة والمصابرة والمرابطة، في طريق بعثة التجديد لهذا الدين، في أنفسنا، وفيمن حولنا من العالمين، نبقى على ذلك بحول

اللَّه حتى يأتينا اليقين! فنلقى اللَّه - إن شاء اللَّه - مقبلين لا مدبرين، ثابتين لا مبدلين ولا مغيرين. ذلك العهد وذلك ميثاقه.

ومن هنا جاءت هذه الرسالة - مُوزَّعة على الفصول التالية:

الفصل الأول: في تأصيل العهد وميثاقه.

والثاني: في عهد الذِّكْر.

الثالث: في عهد القرآن والقيام.

والرابع: في عهد البلاغ.

ثم الخامس: في المختار من الأذكار.

واللَّه الموفق للخير والهادي إليه

وكتبه بمكناسة الزيتونة:

فريد بن الحسن الأنصاري

الخزرجي، عفا اللَّه عنه وغفر له ولوالديه

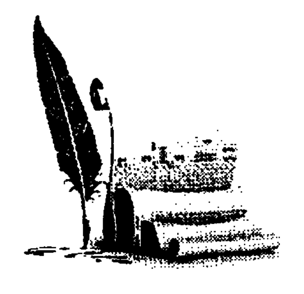
ولسائر المسلمين، الأحد (٢١ من ربيع الثاني

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣/٦/٢٢م).

* * *

الفَصْلُ الأوَّلُ

في تأصيل العهد وميثاقه



الميثاق في اللغة: العهد المُحْكَم. وميثاق العهد: إبرامه وإحكامه. قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧].

وفي اللسان: (الوثَاقة: الشيء الوثيق المحكم، والفعل اللازم: يَوْثُقُ وثاقةً. والوَثاق: اسم الإيثاق، تقول: أوثقته إيثاقًا ووَثاقًا. والحبل أو الشيء الذي يُوثَق به وِثاقٌ، والجمع: الوُثُقُ، بمنزلة الرِّباط والرُّبُط. وأوثقه في الوَثاق أي شده (...) ووثَّقْتُ الشيء توثيقًا، فهو مُوَثَّق. والوثيقة: الإحكام في الأمر، (...) وقد أوْثَقَهُ وَوَثَّقَهُ وإنه لَمُوَثَّق الخلق. والموثق والميثاق: العهد (...).

والمواثقة: المعاهدة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ ﴾ [المائدة: ٧] (...) والميثاق: العهد، مِفْعال من الوَثاق، وهو في الأصل: حبل أو قيد يشد به الأسير والدابة)[1].

فالميثاق إذن: عهد مُحْكَم يشدك إلى الدين قولًا وعملًا، ويلزمك بما التزمت به. وتعبيرنا ههنا (بميثاق العهد)، إنما نقصد به: توثيق ما نبرمه مع الله ﷻ من التزام بأمور التكليف، ومن قيام بواجب البلاغ، وإحكامه على قواعد نلخصها فيما يلي:

اعلم – هداني الله وإياك – أن التوبة إلى الله عزيمة وإرادة،

---

(١) لسان العرب: (مادة وثق).

وأن النقلة من الصلاح إلى الإصلاح مرابطة ومجاهدة. فتمني الصلاح غير كافٍ للتحول إلى صلاح، وتمني الإصلاح لن يترتب عليه أي إصلاح! ولكن لا بد لك من عزمة تعزمها، وعهد تقطعه على نفسك، وميثاق تبرمه مع اللَّه، تُشهد عليه اللَّه ﷻ، وتُشْهِد عليه نفسك وصالح المؤمنين، الذين يذكِّرونك إذا نسيت، ويساعدونك إذا فترت. وهذا المعنى متأصل في كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ.

فاستقراء النصوص يفيد بأن كثيرًا من جلائل الأعمال في الإسلام كانت تبنى على عهد، وتوثق بميثاق، يكون ربقة في عنق المسلم، فإما وفاءٌ بعدُ وإما نقضًا! فالدين نفسه في كليته عهد، يوثقه المسلم بإقراره أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه ﷺ. ومن هنا فقد كان رسول اللَّه ﷺ يأخذ العهود والمواثيق من الناس، ويذكرهم بذلك إذا نسوا، أو فتروا. وربما اشترط على بعضهم في ذلك ما لم يشترطه على غيره. كما في الحديث المتفق عليه: عن جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه، قال: بايعت رسولَ اللَّه ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم [١]. وفي رواية لأحمد والطبراني بسند صحيح، أنه قال: فاشترط عليَّ: « **والنصح لكل مسلم!** » فوربِّ الكعبة إني لكم ناصح أجمعين! [٢].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد والطبراني بسند صحيح.

وقيل لسلمة ابن الأكوع ﷺ: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال على الموت! (١)، وله صيغة أخرى أبْيَنُ، وهي: عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة ﷺ قال: بايعتُ النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل الشجرة، فلما خف الناس قال: « **يا ابن الأكوع ألا تبايع؟** » قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله! قال: « **وأيضًا!** » فبايعته الثانية. [قال يزيد:] فقلت له: يا أبا مسلم، على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ قال: على الموت! (٢).

والمقصود بالبيعة على الموت إنما هو عدم الفرار في الحرب! لقول البخاري في كتاب الجهاد، في ترجمة: (باب البيعة في الحرب أن لا يفرُّوا، وقال بعضهم على الموت). وقد جاء مفسرًا في حديث معقل بن يسار ﷺ، قال: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصنًا من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة. قال: لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر (٣). وفي حديث عبد الله ابن عمر ﵄ قال: بل بايعهم على الصبر (٤).

وكل ذلك إنما هو تفسير لما قصده سلمة بن الأكوع من أنه بايع النبي ﷺ على الموت، ولا تعارض بين الحديثين كما قال ابن حجر.

(١، ٢) متفق عليه. (٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

ولذلك وُجِد من بايع النبي ﷺ أكثر من مرة - كما هو ظاهر في الأحاديث المذكورة وغيرها - تكون البيعة الأولى هي بيعة الإسلام، ويكون بعدها على بعض جلائل الأعمال. وإنما المقصود بالبيعة على هذا المعنى الثاني: إبرام عهد مع اللَّه على عمل معين سواء كان مؤقتًا كما في يوم الحديبية الذي آل إلى الصلح، أو دائمًا كما في النصح لكل مسلم.

وقد أخذ رسول اللَّه ﷺ من الأنصار (بيعة العقبة الأولى) و (بيعة العقبة الثانية)، وأخذ منهم ومن المهاجرين (بيعة الرضوان) يوم الحديبية، التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨]. وكان رسول اللَّه ﷺ يأخذ من المسلمين (بيعة الإسلام). وقد أخذها ﷺ من آحاد المهاجرين وجموعهم، كما أخذها من الطلقاء، ومن مسلمة الفتح عمومًا، ومن كل من وفد عليه مسلمًا؛ رجالًا ونساءً.

و (بيعة الإسلام) هذه هي التي جعلها اللَّه نصَّ امتحان المهاجرات، كما جاء في سورة الممتحنة، وكانت تسمى (بيعة النساء)، وذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ

وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة: ١٢].

ثم جعل النبي ﷺ بعض أركان الإسلام علامات على استمرار العهد وعدم نقضه. فقال في الصلاة مثلًا: « **العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة!** »[(١)].

ومن هنا كان الدين ميثاقًا وعهدًا، فقد ألزم المولى جل وعلا الرسل والأنبياء بالميثاق الذي واثقهم به، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۞ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧، ٨]. كما ألزم به أمة المسلمين فقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة: ٧]. وقال ﷻ مذكرًا الناس أجمعين: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس: ٦٠، ٦١]. وخاطب هذه الأمة في

---

(١) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن بريدة، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم (٤١٤٣). وتتمة الحديث: « **فمن تركها فقد كفر** » وقد علم أن ليس المقصود بالكفر هنا كفر الاعتقاد، وإنما الكفر العملي، الذي هو ضرب من العصيان المشابه لأعمال الكفار.

خصوصها فقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وذمَّ مَنْ نَقَضَ العهد والميثاق فقال جل وعلا: ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥]. فذلك كان سبب هلاك بني إسرائيل. قال ﷻ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائدة: ١٣].

العهد أو الميثاق، أو ميثاق العهد؛ باب عظيم من أبواب التوبة إلى الله عمومًا، ومدرج من مدارج الدعوة، والسير إليه تعالى عبر مراتب الصلاح والإصلاح خصوصًا. وعدم اكتراث المسلم به يقوده إلى الشرود عن باب الله، بَلْهَ يكون من المصلحين! فالعهد هو أول مدارج السالكين، ومبتدأ منازل السائرين إلى رب العالمين.

ولقد جمعت لك أيها المحب معالم ذلك كله في كتابنا: (بلاغ الرسالة القرآنية، نحو إبصار لآيات الطريق). فبسطنا لك فيه منهجًا تربويًا، متدرجًا، مؤصلًا بأدلته وقواعده؛ في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. ولم نخرج بك في كل ذلك عن المعلوم من الدين بالضرورة؛ على ما رأيناه من

منهجية تربوية، ومن رعي لميزان الأولويات الشرعية، على ما يقتضيه مناط الدين في الزمان والمكان.

وهذه رسالة مختصرة يسترشد بها أصحاب البدايات، ويتذكرها أصحاب النهايات. ومن ذا يستغني عن ذكر اللَّه، والسير إلى تحصيل رضاه؟

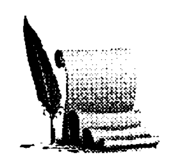
فلا بد لك أيها المحب لطريق النور، إن تجردت فعلًا لبعثة التجديد والبلاغ القرآني؛ من أوراد عملية وقولية تربطك بميثاقك، وترسخ وفاءك لعهدك. تمامًا كما كان الأنبياء والصديقون، والربانيون المجدِّدون. وإنما أولئك هم العاملون الذين تنتفع بهم الأمة. وأما القائلون وكفى؛ فهم في الناس كعدِّ الحصى، ولكنهم غثاء كغثاء السيل!

وكما بُعِثَ رسول اللَّه ﷺ بالقرآن آية آية؛ بصائرَ للناس، وهدًى للعالمين؛ وجب عليك إذا تحققت عَزْمَتك أن تنطلق بالقرآن، ومن القرآن، في بعثة التجديد آية آية! تتبصر وتُبَصِّر، وتتعرف وتُعَرِّف، وتترجم أخلاق النبوة حركةً فطريةً في المجتمع؛ حركة يكون المسجد مقرها، والقرآن العظيم دستورها والرسول ﷺ رمزها وقائدها، والدعوة إلى الخير جهادها. بعيدًا عن ضيق المنظمات، وأَسْر الانتماءات!

وإنما ذلك هو من المعلوم من الدين بالضرورة كما ذكرنا. وذلك هو أساس الوِرْد التربوي لرسالة القرآن، فهل أخذت

عليه عهدَك وعقدت عليه ميثاقَك؟ أم أنك تعرفه فقط كما يعرف أهل الكتب كتابهم، إذا طال عليهم الأمد؟ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦]. ذلك المنطلق، إن أردت فعلًا أن تسلك سبيل الصالحين المصلحين، وإنما الموفق من وفَّقه اللّه.

* * *



تبصرة:
كيف توثق العهد؟

سل نفسك أولًا:

هل حقًّا تريد البدء أم أنك تتمنى فقط؟ هل عزمتَ عَزْمَتَكَ لتوثيق التوبة، وإعلان الانطلاق في مدارج المجاهدة؛ سيرًا إلى الله مع الصالحين المصلحين؛ أم أنك ما تزال مترددًا بأحراج الشيطان، سمَّاعًا لوساوسه؟ لا يكون لك بَدْءٌ يا صاحبي، ولا لِبَدْئِك أَثَرٌ؛ حتى تجيب نفسك عن نفسك! وتحقق ذلك معها، وتعرف بالضبط ماذا تريد!

فَاحْسِمْ نِيَّتك في نفسك معْ الله أولًا! وإلا فلن تبرح مكانك! ولن تستطيع مغادرة طينك، وتبقى هنالك، وقد انطلقت قوافلُ الرُّكَّع السُّجَّد بعيدًا، تضرب نحو باب الرضى الرباني العظيم! وخَلَّفَتْك وراءها وحيدًا، ضالًّا بمتاهات الدخان، تدور في دَرَكِ الخطايا والآثام! وقد سبق المفرّدون: « **الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات** » !! [١]، فأين أنت أيها المتمني؟

تلك قوافل المسترشدين الراشدين قد انطلقت، يقودها - إلى الله - محمد رسول الله ﷺ؛ سائر بكل مَنْ (معه)،

---

(١) رواه مسلم.

وإنما معه الذين حقَّقوا (**المعية النبوية**)! وهم أصحابه الميامين ثم تَبَعُهم من إخوانه المحجَّلين!

اقرأ هذه الآية البصيرة؛ لنقول لك بعدها كلمة! قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

تدبَّر الآية كلها أولًا! ثم خُصَّ بتدبرك عبارة: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾.. إنهم أهل (المعيَّة النبوية) أهل (السِّيمَى)! والسِّيمى، أو السِّيماء: العلامة الدالة على معنى. فهم إذن: الربانيون، أصحاب علامة الرضى من أثر السجود!

وليست (المعية) ههنا هي المعاصرة الدنيوية، فقد عاصره كثير من الكفار والمنافقين، وكان المنافقون معه؛ لكن ليس بمعنى المعية النبوية الاتباعية! وإنما (معه) الربانيون! ولذلك دخل في معنى الآية إخوانه أيضًا. وإخوانه: هم كل من آمن به من أمته ﷺ ولم يره، وكان من الصادقين! وذلك قوله عليه السلام: « **وددت أني لقيت إخواني!** » قالوا: يا رسول اللّه، ألسنا

إخوانك؟ قال: « بل أنتم أصحابي! وإخواني: الذين آمنوا بي ولم يروني! » [١].

وفي رواية أخرى مفصلة قال ﷺ: « وددت أنا قد رأينا إخواننا » قالوا: أَوَلسْنَا إخوانك؟ قال: « بل أنتم أصحابي! وإخواننا: الذين لم يأتوا بعدُ ». قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ قال: « أرأيت لو أن رجلًا له خيل غُرٌّ مُحَجَّلَة، بين ظَهْرَيْ خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ [٢]، ألا يعرف خيلَه؟ » قالوا: بلى! قال: « فإنهم يأتون يوم القيامة غرًّا مُحجَّلين من الوضوء، وأنا فَرَطُهم على الحوض! ألا ليُذَادَنَّ رجالٌ عن حوضي كما يُذادُ البعير الضال! أناديهم: ألا هَلُمَّ! فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك! فأقول: سُحْقًا! سحقًا! » [٣].

ذلك العهد! فذلك ميثاقه، وذلك نقضه!

هو عهد إذن، نقطعه على أنفسنا للَّه وحده، مخلصين له الدين إن شاء اللَّه، سائرين إليه تعالى على طريق الإيمان رَغَبًا

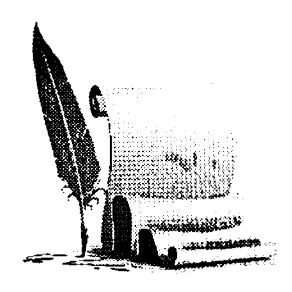
---

(١) رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم (٧١٠٨).
(٢) غرٌّ: جمع أغر، والغُرَّة: بياضٌ على جبهة الحصان الأسود أو الأحمر، أو نحو ذلك من ذوات الألوان الداكنة، من غير البياض. والتحجيل: بياض يكون على قدميه. والبُهْمُ: جمع أَبْهَم، وهو في الخيل: الحصان ذو اللون الواحد، من حمرة أو سواد أو نحوهما، غير مشوب بشيء غير لونه ذاك. والدُّهم: جمع أدْهَم، وهو ذو اللون الأسود الشديد السواد.
(٣) رواه مسلم.

ورَهَبًا، معتصمين بكتابه وبسنة نبيه ﷺ استجابة لبلاغات القرآن العظيم، وقيامًا بأمرها. وأما باب الدخول إلى ذلك تطبيقًا وتحقيقًا؛ فهو أعمال وأقوال. **وبيان ذلك هو كما يلي:**

الفَصْلُ الثَّانِي

في عهد الذكر



نستهل هذا الفصل ببصيرتين من كتاب اللّٰه تعالى، لهما دلالة النور للقلب السالك في ظلمات الحيرة والتيه. فاقرأ وتدبر! ولا تعجل حتى تستكمل شعاع النور!

فأما **أولاها** فهي قول رب العزة جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]. هذه بصيرة من بصائر القرآن، ذات مسلك عجيب في التعرف إلى اللّٰه. فاسأل نفسك أين أنت منها؟ أو – بعبارة أخرى أكثر تفصيلًا – اسأل: ماذا تعرف عن اللّٰه؟ وما منزلة قلبك بين الخوف والرجاء؟ فإما أن القلب ينعم بجمال (الوجل)، كلما استنار بجلال التعرف إلى اللّٰه؛ وإما: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢].

وأما **الثانية** فهي قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦]، وذلك طريق من لم يعرف نور الذِّكْر إلى قلبه مسلكًا! فأنى يكون الخروج إلى مسلك النور؟ كيف التخلص من غفلة العُشُوِّ عن ذكر الرحمن؟ ثم كيف يكون تحصيل القلب الوَجِل من ذكر اللّٰه؟

* * *



تبصرة:
في أن الذكر هو مسلك المُفَرِّدين السابقين

الذِّكْر هو مفتاح البصيرة!

هل تريد أن تكون من المبصرين؟

هل تشتاق إلى مشاهدة الأنوار الربانية وهي تتدفق من بصائر القرآن، لتشمل الكون كله؟!

نعم، إذن اذكر اللَّه كثيرًا! ولا حَظَّ في السبق إلى ذلك لمن غفل عنه! اقرأ هذا الحديث النبوي الشريف وتدبر! عسى أن تكتشف سرَّ السير إلى اللَّه.. قال رسول اللَّه ﷺ: « سبق المفَرِّدون! » قالوا: وما المفردون يا رسول اللَّه؟ قال: « الذاكرون اللَّه كثيرًا والذاكرات » (١).

وكيف لمن ذكره اللَّه في ملئه الأعلى ألا يكون من السابقين؟ وإنما هو شرط واحد، وعهد واحد ذلك قول اللَّه تعالى في محكم القرآن العظيم: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وكانت مهمة موسى وأخيه هارون من أثقل العزائم في تاريخ الرسالات قبل نبينا محمد ﷺ! إنها دعوة فرعون! ذلك الطاغية الذي قال في

---

(١) رواه مسلم.

الناس: أنا ربكم الأعلى! وإنما كان زاد موسى وأخيه في طريقهما إليه: ذكر الله، ومع ذكر الله يتضاءل الجبل حتى يكون مثل حصاة! قال ﷻ: ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٢ - ٤٦]. إن المعية الربانية كانت حاصلة مع الاستمرار في الذكر، وعدم الفتور منه: ﴿ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾! والمعية كفايةُ اللَّهِ العبدَ في الدنيا والآخرة! وإنما هي حال المقربين السابقين، من الملائكة والأنبياء والصديقين! ألم يقل ﷻ في حق الملائكة العِنْدِيَّة: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. لا يفترون!

وهي معية تحبيب وتقريب، قال النبي ﷺ في الحديث القدسي: « **يقول اللَّه تعالى: أنا عند ظن عبدي بي. وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة** » (١). فليس عبثًا إذن؛ أن يكون الذِّكْر أفضل - في بعض مراتبه - من إنفاق الذهب والفضة، بل من

---

(١) متفق عليه.

الجهاد في سبيل الله! وذلك نص الحديث العجيب الذي رواه الصحابي الجليل أبو الدرداء ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟** » قالوا: بلى، قال: « **ذكر الله تعالى!** » فقال معاذ بن جبل ﷺ: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله! [1].

وهذه مرتبة خاصة من الذكر سيأتي بيانها بحول الله.

تلك هي القصة إذن!

وتلك هي الطريق، فأين الذاكرون؟

أين حصتك من الذكر صباحًا؟ وأين هي حصتك مساءً؟

ألم يقل الله تعالى للمؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وما زال رسول الله ﷺ يوصي بالتزام الذكر ومداومته عسى

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: (١٣٩/٣)، وصحيح ابن ماجه: (٣١٦/٢).

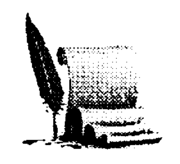
أن يكون المؤمن من المتشبثين! فعن عبد اللَّه بن بسر ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ فأخبرني بشيء أتشبث به! قال: « **لا يزال لسانك رطبًا من ذكر اللَّه** » [1]. هكذا « **رطبًا** »، كأنما هو بقلة، أو زهرة، أو ثمرة. تستمد الماء من نبع دائم يفيض بالحياة! والذكر حياة الروح. كأنما اللسان جذره الممتد إلى الغدير.

أين أنت يا أخي من ذلك كله؟ كلمة واحدة نقولها لك، فانظر ماذا ترى! كلمة واحدة ولن نزيد: « **سبق المفَرِّدون!** »... وإنما الحَكَمُ بين المتنافسين هو الطريق!

* * *

---

(١) رواه أحمد والترمذي، وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن عبد اللَّه ابن بسر. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم (٧٧٠٠).



تبصرة:
كيف تذكر اللَّه؟

لا يكون لك انطلاق حقيقي إن لم تحقق هذا الأمر أولًا، وهو جواب: كيف يكون الذكر؟ ما طبيعته؟ ما مادته؟ ما ظروفه؟ ما مسلكه؟

ذكر اللَّه عبارة عن غذاء تعبدي تنتفع به النفس، وتقوى على السير إليه تعالى. وبدونه قطعًا لا يكون شيء! لا سير ولا وصول! وإنما أعمال الإسلام كلها ذكر: بدءًا بالإقرار بالشهادتين حتى الصلاة والصيام والزكاة والحج، وما تفرع عنها جميعًا من صالح الأعمال، سواء في ذلك الواجبات والنوافل. وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦]، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

فالذكر هنا هو الإيمان والإسلام. وإنما سمي ذكرًا لأنه إقرار بما عَهِدَ اللَّه إلى بني آدم في عالم الذَّرِّ من التوحيد، وبما طبع عليه فطرتهم من الإيمان، السابق إلى النفس ابتداء.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

وبهذا المعنى لم يكن الدين كله إلا (**ذِكْرًا**) ولم تكن مهمة الرسل إلا (**تذكيرًا**)؛ تذكيرًا بالعهد الأول، الذي أخذه الله على بني آدم في الوجود النفسي من عالم الغيب. وبهذا المعنى أيضًا لم يكن الرسول - أي رسول - إلا (**مذكِّرًا**)! ولذلك قال تعالى لمحمد ﷺ بأسلوب الحصر هذا: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية: ٢١].

والناس عندما يتذكرون حقيقة وجودهم، وطبيعته الابتلائية؛ يشرعون في العودة إلى خالقهم عبر مدارج الدين. فالمؤمن الحق هو الذي يذكر هذه الحقيقة؛ فلا يغرُّه الرخاء، ولا تزلزله المصيبة؛ بل إنه عند المصيبة يتقوى بهذه الحقيقة: العودة إلى عالم الغيب الذي منه كان البدء. وتلك هي كلمة: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾، التي تقال عند وقوع البلاء. قال ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم

مُصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

لكن قد يطلق لفظ (الذكر) في الشرع بمعنى أخص، فيقصد به ما شرعه النبي ﷺ من العبادات القولية، أو اللسانية، التي يردِّدها العبد في أوراده اليومية، ويتحرك بها لسانه، تسبيحًا، وتحميدًا، وتهليلًا، وتكبيرًا، ونحو ذلك. وهو المراد - مما سبق إيراده - من قول رسول اللَّه ﷺ، فيما رواه الصحابي الجليل عبد اللَّه بن بسر ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه إن شرائع الإسلام قد كثرت علي! فأخبرني بشيء أتشبث به! قال: « **لا يزال لسانك رطبًا من ذكر اللَّه!** ».

إلا أن هذا المعنى الخاص لا يخرج عن المعنى الكلي الذي يراد به تذكر الحقيقة الإيمانية الكبرى، التي هي مناط الدين كله، والراجعة إلى توحيد اللَّه في ربوبيته وألوهيته؛ فوظيفة الذكر بهذا المعنى الخاص هي تجديد معنى الإيمان في النفس، وترسيخها، وترقيتها بمدارجه ومراتبه؛ حتى تكون من أهل البصائر، ومشاهدة الحقائق في الآيات القرآنية والكونية [١].

---

(١) لا يجوز للمسلم الذي صحَّت عقيدته؛ أن يغلو في القول بالمشاهدات، بما يخالف أصول العقيدة! كالذين يعتقدون بأن الذكر يكشف حجب الغيب للإنسان ليقرأ في اللوح المحفوظ! فهذا من الموروثات عن ترهات أهل الخرافات، وأباطيل الشطحات. وقد أجمع العارفون المحققون على ألا حقيقة إلا ما صدر عن مشكاة الشريعة، منضبطًا بضوابط العقيدة الصحيحة! وإنما =

وقوله ﷺ في الحديث المذكور: « **لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله** » دالٌّ على الاستمرار، فعبارة « **لا يزال** » تدل - في العربية - على بقاء ما دخلت عليه، وتحكم بدوامه. وإنما قال ﷺ ذلك؛ لأن النفس في سيرها إلى مولاها - بعد إيمانها وصلاحها - قد تمل وتفتر، أو تصيبها الوحشة، أو قد تغفل؛ فتشرد وتضل وتضطرب؛ فتحتاج إلى تذكير دائم يجدد لها إيمانها ويزكيه؛ حتى تطمئن أحوالها؛ ومن هنا قوله تعالى في هذه الآية اللطيفة العجيبة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

= الموفق من وفقه الله. وأما اللوح المحفوظ فهو ديوان الغيب والقضاء والقدر. فلا أحد من الأنبياء زعم علينا أنه يقرأ فيه، إلا ما جاء وحيًا معلومًا! وقواطع القرآن قاطعة لكل جدل عقيم! قال سبحانه يخاطب نبيه ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال أيضًا: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥] وغاية ما ثبت عن النبي ﷺ من ذلك أنه سمع صوت أقلام الملائكة الذين يستنسخون من اللوح المحفوظ! نعم سمع ولم يرَ! هذا ما صح به الحديث. فقد أخرج البخاري أنه ﷺ قال: « **عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام** ». فعجبًا أن يطلع أحد من أمة محمد ﷺ على ما لم يطلع عليه محمد نفسه! أليست هذه دعوى عريضة؛ هي أكثر غلوًّا من دعوى النبوة؟ فاقرأ وتدبر! ثم تبين! وأما كشوفات المؤمن ومشاهدته فإنما غايته تبصر حقائق الكون والقرآن في النفس وفي المجتمع. وكفى بها حقيقة عظمى! تملأ القلب وتعمر الوجدان؛ ولكن ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

وقول النبي ﷺ: « **مَثَلُ الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت!** »[(١)].

فالذِّكر إذن: حضور واستحضار:

فالحضور: حضور القلب بين يدي اللّه تعالى عابدًا متبتلًا.

والاستحضار: مطالعة الروح لمقاصد العبارات من الأذكار والآيات، وتبين آثارها في النفس، وتتبع مشاهدها في الكون؛ تفكرًا وتدبرًا. وذلك معنى حديث النبي ﷺ عن (**الإحسان**): « **أن تعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك!** »[(٢)] أما ترديد الآيات، وترجيع العبارات بلسان غير موصول بالقلب؛ فعمل عديم الفائدة. وما ذكر إن لم يكن تذكرًا لغائب المعاني، وشارد المقاصد؟ تتذكر ماذا إذن وتشاهد؟ كيف تبصر وأنت تلقي بالكلمات في تيه العمى! لا بد من مطابقة التعبير للتفكير؛ وإلا فلا ذكر!

ولك أن تشاهد أحوال من سماهم اللّه تعالى بأولي الألباب: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

ذلك قلب العبد المحب له واردان اثنان: لسان يتذكر وذهن يتفكر! وبهما معًا تنفتح له نوافذ المشاهدات ملء الكون؛ فكل

---

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري.　　(٢) متفق عليه.

كلمة من الذِّكر تنساب على اللسان هي سفينة فضائية، تحملك عروجًا إلى الرحمن، عبر ملايين الأفلاك والمجرات، فتخترق بك الطبقات تلو الطبقات، من المدارات والفضاءات! فأعظم بها سياحة الذاكرين! في رياض الملك والملكوت!

هنا إذن؛ تحضر أهمية مجالس القرآن، حيث تنفع المذاكرة والمدارسة في تلقي منهج التفكُّر والتدبر؛ فاسلك مجلس الذاكرين الربانيين، وادخل مدرسة البصائر، وتعلم كيف تتذكر! إن كلمة واحدة من التسبيح، أو التهليل، أو التكبير؛ لكفيلة بأن تلقي بك في فضاءات أخرى، تبعد عن كوكب الأرض بملايين السنين الضوئية! وتدبر هذا الحديث النبوي العجيب: « **وعليك بذكر اللّه تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض** »[1]، فاركب سفينة الذكر يا صاح ثم انطلق.

ثم يحسن بك أيضًا أن تقرأ ما أوردناه بالهوامش - أسفله - من تأصيل عن النبي ﷺ، في فضل الآيات المعينة، وصيغ الأذكار النبوية المختارة، فهو من خير ما يساعد المؤمن على استحضار مقاصد الذكر عند كل عبارة.

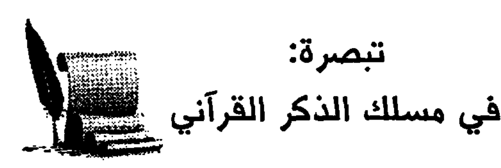
ولك في هذه الإشارات - إن شئت - بدايات. وذلك

---

(١) رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ. وحسنه الألباني، انظر حديث رقم (٢٥٣٤) في صحيح الجامع.

من أجل تبيُّن مسلك تطبيقي للذكر. ولنجعله على قسمين: الأول: ذكر قرآني، وهو في بيان كيفية الاشتغال بالقرآن باعتباره (ذكرًا). والثاني: ذكر نبوي، وهو بيان منهج التعامل مع الصيغ السنية في ذكر اللّٰه تعالى.

* * *



تبصرة:
في مسلك الذكر القرآني

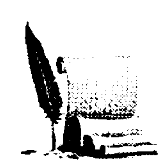
القرآن العظيم رأس الذِّكْر، ومفتاح الذكر، وتاج الذكر؛ بل القرآن هو الذكر! قال سبحانه: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القلم: ٥١، ٥٢].

والقرآن أيضًا به يكون الذكر! قال سبحانه: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ [ص: ١]. والفتنة حينما يطوف بها الشيطان في كل مكان؛ يعمي بها البصائر، فيحفظ الله الذاكرين! قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

الإشكال الآن هو: كيف نُحصِّل الذكر بالقرآن؟

هذا هو السؤال الأهم الآن؛ لأنه ليس كل قارئ للقرآن هو بذاكر!

* * *



تبصرة:
في أخذ القرآن بمنهج (التَّلقِّي)

كثيرون هم أولئك الناس الذين يتلون القرآن اليوم، أو يستمعون له على الإجمال، على أشكال وأغراض مختلفة. ولكن قليل منهم (يتلقى) القرآن!

وإنما يؤتي القرآن ثمار الذكر حقيقة لمن تلقاه! وإنما كان رسول الله ﷺ يتلقى القرآن من ربه. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: ٦].

ولا يزال القرآن معروضًا لمن يتلقاه، وليس لمن يتلوه فقط! وما أدق وأجمل كلمات الشاعر الباكستاني محمد إقبال في هذا! إذ قال رحمه الله:

تجلِّي النّورِ فوق الطُّور باقٍ
فهل بَقِيَ الكليمُ بطُورِ سِينَا؟

والتلقي في اللغة: هو الاستقبال عمومًا. كما في قول اللَّه تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] (١).

---

(١) انظر ذلك مفصلًا في مفردات الراغب، مادة: (لقي).

وأما **تلقي القرآن**: فهو استقبال القلب للوحي؛ إما على سبيل النبوة، كما هو الشأن بالنسبة للرسول ﷺ، على نحو ما في قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: ٦]. إذ ألقى الله عليه القرآن بهذا المعنى! كما فسّره الراغب الأصفهاني من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥] قال رحمه الله: (إشارة إلى ما حُمِّلَ من النبوة والوحي!) [١].

وإما أن يكون (**تلقي القرآن**) بمعني: **استقبال القلب للوحي على سبيل الذِّكْر.**

وهو عام في كل مؤمن أخذ القرآن بمنهج التلقي على ما سنبينه بعدُ بحول الله. فذلك المنهج هو الذي به تنبعث حياة القلوب؛ لأنها تتلقى آنئذ القرآن (روحًا) من لدن الرحمن، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

وبيان ذلك أن المسلم يتعامل مع القرآن تلاوة واستماعًا على أنه (تنزيل)، وليس فقط أنه (إنزال). فقد فرّق علماء القرآن بين (التنزيل) و(الإنزال)؛ على اعتبار أن **الإنزال**: هو ما وقع من نزول القرآن من لدن الله تعالى إلى السماء

---

(١) المفردات، مادة: (لقي).

الدنيا، وهو ما حصل في ليلة القدر. كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣].

وأما التنزيل: فهو ما وقع من نزول القرآن في الناس، على وقائع معينة في التاريخ، تعالج قضايا النفس والمجتمع. وهو ما قصده العلماء بمعنى نزول القرآن (مُنَجَّمًا): أي مفرقًا على آيات تنزل عند الحاجة لتعالج هذه الآفة أو تلك، أو لتؤسس هذا الحكم أو ذاك، في عملية بناء الإنسان، وعمران الوجدان، التي استمرت طيلة فترة تنزل الوحي في المجتمع الإسلامي النبوي.

وذلك هو المذكور مثلًا في قوله سبحانه: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: ١ - ٣].

فالتنزيل: تفريق القرآن آيات، آيات. وقد ذكر الله سبحانه المعنيين معًا بشكل واضح، في سورة الإسراء، من قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝١٠٥ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٥، ١٠٦].

ومن هنا قال الراغب الأصفهاني: (الفرق بين « الإنزال » و « التنزيل » في وصف القرآن والملائكة: أن التنزيل يختص بالوضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقًا، ومرة بعد أخرى.

والإنزال: عام (...) وقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، إنما خص لفظ (الإنزال) دون (التنزيل)؛ لما روي: (أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجمًا فنجمًا).

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣]، قال: أنزل القرآن في ليلة القدر، ثم نزل به جبريل على رسول الله نجومًا، بجواب كلام الناس)[1].

و (تلقي القرآن) بمعنى استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر؛ إنما يكون بأخذه - فضلًا عن كونه إنزالًا - على أنه تنزيل؛ حيث يتعامل معه العبد، ويتدبره آية، آية، باعتبار أنها تنزلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه، فتبعث قلبه حيًا في عصره وزمانه! ومن هنا وصف الله تعالى العبد الذي (يتلقى القرآن) بهذا المعنى؛ بأنه (يلقي) له السمع بشهود القلب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]. ذلك هو الذاكر حقًا، الذي يحصل الذكرى ولا يكون من الغافلين.

أن تتلقى القرآن: معناه إذن؛ أن تصغي إلى الله يخاطبك!

---

(١) مفردات غريب القرآن، مادة: (نزل).

فتبصر حقائق الآيات وهي تتنزل على قلبك روحًا. وبهذا تقع اليقظة والتذكر، ثم يقع التخلق بالقرآن، على نحو ما هو مذكور في وصف رسول الله ﷺ، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، لما سئلت عن خلقه ﷺ؛ فقالت: كان خلقه القرآن! (١).

وأن **تتلقى القرآن**: معناه أيضًا أن تنزيل الآيات على موطن الحاجة من قلبك ووجدانك! كما يتنزل الدواء على مواطن الداء! فآدم عليه السلام لما أكل هو وزوجه من الشجرة المحرمة؛ ظهرت عليهما أمارة الغواية؛ بسقوط لباس الجنة عن جسديهما! فظل آدم عليه السلام كئيبًا حزينًا. قال تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١]. ولم يزل كذلك حتى (تلقى) كلمات التوبة من ربه فتاب عليه؛ فكانت له بذلك شفاء! وذلك قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧].

فهو عليه السلام كان في حاجة شديدة إلى شيء يفعله أو يقوله؛ ليتوب إلى الله، لكنه لا يدري كيف؟ فأنزل الله عليه - برحمته تعالى - كلمات التوبة؛ ليتوب بها هو وزوجه إلى الله تعالى. وهي - كما يقول المفسرون - قوله تعالى: ﴿ قَالَا

---

(١) رواه مسلم.

رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣]. فبمجرد ما أن تنزلت الآيات على موطن الحاجة من قلبه؛ حتى نطقت بها الجوارح والأشواق؛ فكانت له التوبة خُلُقًا إلى يوم القيامة! وكان آدم عليه السلام بهذا أول التوابين! وذلك أخذه كلمات التوبة على سبيل (التلقي): ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ ﴾!

فعندما تقرأ القرآن إذن؛ استمع وأنصت! فإن الله جل جلاله يخاطبك أنت! وادخل بوجدانك مشاهد القرآن، فإنك في ضيافة الرحمن! هناك حيث ترى من المشاهد ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر!

* * *

تبصرة:
في مسلك الذكر النبوي

وأما الذكر النبوي؛ فلأنه لا يكاد ينحصر لكثرته؛ فإننا ننتخب منه نموذجًا واحدًا للتمثيل التطبيقي، ولنجعل (التسبيح) له مثالًا:

(**سبحان الله!**): كلمة إجلال وتعظيم؛ تنزيهًا لله رب العالمين. إنها كلمة تنبع مِنْ قلبِ عَرِفَ الله؛ فانبهر بعظمة سلطانه وجلال ربوبيته، وأدركته الهيبة والخشية؛ لما أرى من آيات الملك وعظمة الملكوت! أَبْصِرْ ذلك مثلًا فيما أنكره المَلَكُ العظيم على الكفار! قال سبحانه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

أن تسبح الله معناه أنك تعبده بالتنزيه. والتنزيه أن تعتقد بقلبك، وتدرك بوجدانك أنه سبحانه أعلى وأجل من أن يحيط به فكر، أو أن يتصوره خيال! إنه تعالى فوق التشبيه وفوق المثال! لا يحيط به شيء، وهو يحيط بكل شيء! أن تسبحه يعني أن تنسب إليه تعالى كل صفات الكمال والجلال والجمال، مما وصف به تعالى نفسه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى. فهو هو، كما وصف نفسه بمراده، ومقاصده، جل وعلا. أن تسبح الله، يعني أن تنزهه عن

خلقه، تشعر بوجدانك أنه - تعالى - مفارق لهم، متعالٍ عنهم. واستحضار هذه المعاني يكون بمشاهدة آيات العظمة في الخلق، وكمال الجمال في دقة الصنع.

تأمل جيدًا معنى الخلق! رَكِّز ذهنك عند المشاهدة البصرية، وعند المطالعة القلبية! وأبصر: كيف كان هذا الكون العظيم؟ الممتد من عالم الشهادة إلى عالم الغيب؟ أبصر كيف تحول الطين في جسم آدم إلى لحم ودم، وإلى جسم ينبض بالحياة! يتذوق ويبصر، ويحس ويشعر، ويضحك ويبكي، ويحن ويشتهي، ويخاف ويأمن... إلخ. أبصر كيف تحول اللاشيء إلى شيء! وكيف تحول العدم إلى وجود! اقرأ حروف الكائنات في كتاب الكون الكبير! اقرأ!... ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١].

وهذا يقتضي منك رحلة كونية عظمى، لا تنتهي إلا بانتهاء قدرتك على التتبع الروحي للفضاءات! ترحل في الوجود لتشاهد مدارات الكون، وطبقات الأجرام والسماوات... وتبصر بعين القلب، تشاهد بروحك العوالم الأخرى وتذكر اللَّه: إنه خالق كل هذا! إنه خالق كل شيء. إنه فوقهم جميعًا، متعالٍ عنهم جميعًا. إنه ليس له مثيل: سبحان اللَّه! أنى خلق كل هذا وكيف؟ تلك معجزة الخلق، وتلك محيرة العقول؛ فقل: سبحان اللَّه، سبحان اللَّه، سبحان اللَّه... حتى ينتهي النفس، ثم جدِّد: سبحان اللَّه!

هذه نملة تسترزق قوتها، وتلك نحلة تسلك سبل ربها، وتلك بعوضة تشعر بالحياة، عجبًا! سبحان اللَّه! وأمم أخرى أدق وأصغر، لا تدرك بالنظر العادي، تملأ أحشاءنا وتسبح في دمائنا، وتسرح في الفضاءات، وارقب أمم الأرض من سائر الكائنات وسائر الأنواع، وأبصر أمم السماء، وأبصر حشود الملائكة تملأ طبقات السماوات، على امتدادات لا يحصرها خيال! قال النبي: ﷺ « **إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون: أطَّتِ السماء وحُقَّ لها أن تَئِطَّ! ما فيها موضع أربع أصابع؛ إلا وملك واضع جبهته للَّه تعالى ساجدًا! واللَّه لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا! وماتلذذتم بالنساء على الفرش! ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى اللَّه** » [1] والملائكة على تلك الحال من العبادة أبدًا إلى ما شاء اللَّه. قال جل وعلا: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

وتسبح الأمم في الأرض للَّه طوعًا وكرهًا. وكل الخليقة أمم. قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي ذر مرفوعًا. وحسَّنه الألباني. انظر حديث رقم: (٢٤٤٩) في صحيح الجامع.

رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وأبصر بعد ذلك كيف يسترزق الجميع مولاهم الملك الرزاق؟ هو وحده يمنح، هو وحده يرزق، هو وحده يعطي، هو وحده يمنع، هو وحده يحيي، هو وحده يميت، هو (الحي القيوم)، يقوم بأمر الكون كل الكون؛ خلقًا، وإحياء، وإماتة، وتقديرًا. لا يتحرك شيء في الكون - مهما دق أو صغر - إلا بإذنه! قال سبحانه: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ويدبر كل شي! لا يشغله شيء عن شيء! وذلك اسمه (القيوم). ونحن خليقته نسأله في الزمان الواحد، ويعطي كل واحد مسألته! وهو تعالى فوق الزمان والمكان؛ لا يحصره زمان ولا يحيطه مكان. بل هو بكل شيء محيط، جل وعلا، سبحانه هو خالق الزمان والمكان!

ثم انْطَلِقْ! انْطَلِقْ إلى مَوْلاَهَا! ومرَّ على العوالم مرة أخرى، وشاهد كل ذلك، وقل سبحان اللَّه! تعالى عن كل شيء علوًّا كبيرًا. أخي يا رفيق الطريق! ليس كل من نطق بعبارة التسبيح قد سبَّح اللَّه!... فسبِّح اللَّه! سبِّح اللَّه! سبِّح اللَّه!

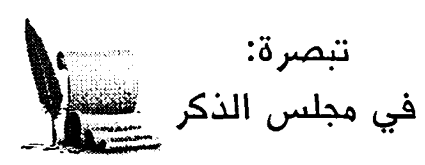
تلك لمعة من لمعات التسبيح، وومضة من ومضاته، وومضة أقل من أثر برق! ضَرَبَ هنا ثم انتهى قبل أن تدركه عين!

وكما يكون التسبيح رحلة كونية لتنزيه رب الكون؛ كذلك يكون التحميد (الحمد لله) رحلة كونية لشكر رب الكون، ويكون التهليل (لا إله إلا الله) رحلة كونية لتوحيد رب الكون، ويكون التكبير (الله أكبر) رحلة كونية لتعظيم رب الكون! ولكن لكل عبارة مراكبها، ولكل جملة مشاهدها، ولكل نعمة ذوقها وجمالها؛ فاذكر الله! واقرأ إن شئت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

[آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وسبق إيراد الحديث النبوي العجيب: « **وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض!** » فانظر وتدبر: هل أنت فعلًا ممن يقرأ ويذكر؟ أم أنك لم تبدأ بعد؟ وإذن ماذا تنتظر؟ وهذا العمر يمضي لا ينتظر أحدًا!

* * *



تبصرة:
في مجلس الذكر

الدخول في الذكر يحسن أن يكون بمجلس مخصص له ابتداء، فذلك أفضل، لشهادة السنة له في أحاديث كثيرة وردت في فضل (مجالس الذكر)، وقد سبق ذكر بعضها؛ ولتواتر فعله عن الصحابة رضي اللَّه عنهم أجمعين. لكن يمكن أن يدخل فيه الإنسان بغير مجلس مخصص، كأن يكون مسافرًا فيقطع المسافات بتلاوة أوراده، من قرآن، أو أذكار. ولذلك قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ [آل عمران: ١٩١] وإنما ورد حديث « **سبق المفردون** » - الذي سبق الاستشهاد به أكثر من مرة - في سفره ﷺ، فقد قاله النبي ﷺ للصحابة الذين كانوا معه في سفر. ففي رواية مسلم للحديث عن أبي هريرة ﷺ: كان رسول اللَّه ﷺ يسير في طريق مكة، فمرَّ على جبل يقال له جُمْدَان. فقال: « **سيروا، هذا جمدان، سبق المفرِّدون!** » قالوا: وما المفرِّدون يا رسول اللَّه؟ قال: « **الذاكرون اللَّه كثيرًا، والذاكرات!** ».

إلا أن الجلوس له أفضل قطعًا؛ لكثرة ما ورد فيه من نصوص، ولما اختص به من فضل اجتماع الملائكة. ومن أشهر ذلك حديث ملائكة الذِّكر، الذي سبق إيراده أيضًا.

قال الإمام النووي - رحمه اللَّه تعالى - في كتاب الأذكار: (اعلم أنه كما يُستحبُّ الجلوس في حِلَق أهله وقد تظاهرت الأدلة على ذلك (...) وروينا في صحيح مسلم عن معاوية ﷺ أنه قال: خرج رسول اللَّه ﷺ على حلقة من أصحابه فقال: « **ما أجلسكم؟** » قالوا: جلسنا نذكر اللَّه تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا، قال: « **آللَّه ما أجلسكم إلا ذاك؟** » قالوا: واللَّه، ما أجلسنا إلا ذاك، قال: « **أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنَّه أتاني جبريل فأخبرني أن اللَّه تعالى يباهي بكم الملائكة!** ») [(١)].

هذا، ويحسن عند القراءة للقرآن وللأذكار أن تمد صوتك بالحروف مدًّا؛ حتى تستعين بذلك على ما ذكرنا من مصاحبة الفكر للذكر. وهو الثابت في سنة القراءة عند رسول اللَّه ﷺ، فقد أخبر الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ كان يمد صوته بالقرآن مدًّا [(٢)]. قال السندي في حاشيته على النسائي: (قوله: « يمد صوته مدًّا » أي يطيل الحروف الصالحة للإطالة؛ يستعين بها على التدبر والتفكر، وتذكير من يتذكر) [(٣)].

ذلك طيف عابر من لطائف الذكر، وأما مشاهدة المقاصد

---

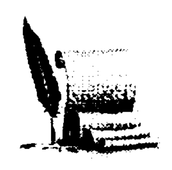
(١) من مقدمة المصنف رحمه الله لكتاب الأذكار: ط. الخامسة، دار ابن كثير.

(٢) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أنس. وصححه الألباني، انظر حديث رقم (٥٠١٣) في صحيح الجامع.

(٣) حاشية السندي على سنن النسائي (باب مد الصوت بالقراءة) حديث رقم (١٠٠٨).

والمعاني يا صاحبي؛ فتلك غاية لا يمكن أبدًا شرحها بعبارات، وإنما يتلقاها المتعلم بإشارات! إشارات تنبئ عن دخول القلب في مشاهدة الكلمات، وعن تجربة وجدانية للذاكر، ومدى تذوقه لمواجيدها. وإنما الذي نرجوه أن هكذا، ببدايات مثل هذه يمكن إن شاء اللَّه أن تكون ذاكرًا. فاتق اللَّه يُعلمْك اللَّه؛ ويزدْك من فضله؛ عسى أن تكون من الربانيين، والمفَرِّدين السابقين.

* * *



تبصرة

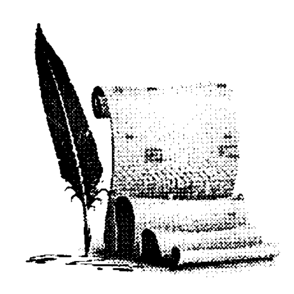
لك أن تختار من القرآن والسنة الصحيحة آيات وأذكارًا نبوية، تكون لك وردًا يوميًا، تسلك من خلاله إلى اللَّه تعالى، وتتعهد به قلبك حتى يدوم على نداوة الإيمان، ويستعين بها على الترقي بمدارج التعرف إلى اللَّه ذي الجلال؛ فيزداد إشراقًا بنور الرحمن!

وقد جمعت لك - أيها المحب - مختارات من ذلك، مما صحَّ الإرشادُ إليه عن رسول اللَّه ﷺ واشتغل به الصحابة رضوان اللَّه عليهم، فكانت لهم به أحوال وأسرار. وهو مضمون الفصل الخامس من هذه الرسالة. فاعتمده إن شئت، فإنما هو آيات وسنن صحيحة. لكن احذر أن يفوتك ذكر اللَّه بـ (منهج التلقي) - كما شرحناه قبل - فتفوتك أنوار الحكمة من كل آية قرآنية وعبارة نبوية؛ وإذن لا يكون للذكر على قلبك أثر! وإنما الذِّكْر تَذَكُّرٌ. فتدبر ثم أبصر!

* * *

الفَصِلُ الثَّالِثُ

في عهد القرآن والقيام



القرآن العظيم كلام اللّه ذي الجلال. وكفى بذلك حقيقة عظمى! وكلام اللّه ﷻ، هو وحده الذي يؤجر فيه العبد على تلاوته؛ بعدد ما يتلوه من حروفه؛ حرفًا حرفًا! ولا خير فيمن هجر القرآن!

يقول رسول اللّه ﷺ في ذلك: « **من قرأ حرفًا من كتاب اللّه فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿ الٓمٓ ﴾ حرف، لكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف!** » فإذا قام به من الليل كان له ميزان آخر! كما سترى بحول اللّه.

إن هذا القرآن سرٌّ لطيف، وكنز رباني عجيب، لو تتلوه يا صاح حق تلاوته؛ لرأيت فيه عجبًا! ولأبصرت منه الكون جميعًا! فهو جامع الكتب السماوية كلها، وهو خلاصتها الكاملة. فهو (الكتاب)، بما تقتضيه (ال) من معاني الاستغراق. قال ﷻ في فاتحة سورة البقرة: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ [البقرة: ١، ٢]، أي الأكمل الأشمل، الذي ضم بين دفتيه كل الكتب. وفي ذلك من الأسرار ما يدركه أهل البصائر إذ يقرؤون القرآن، فتنجلي لهم سنن، وتتضح لهم معالم، ويشاهدون حقائق. قال رسول اللّه ﷺ في حديث عجيب، حقًّا عجيب: « **أعطيتُ مكان التوراة السبع الطول، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضِّلت بالمفصَّل** » [١]. فهل تقرأ القرآن حقًّا؟ تحقق قبل أن

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي في سننه، وصححه الألباني، انظر حديث =

تجيب! إن كان لا؛ فحاول أن تقرأه! وجرب! وتعلم كيف تصنع، عسى أن تكون ممن ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢١]. ادخل باب القرآن متجردًا من كل الأحوال؛ إلا حال الإقبال على رب الكون، الله الملك الوهاب! وأبصر في الآيات بصائر الحياة، واقرأ ثم اركع واسجد؛ تكن بحول الله من المبصرين!

* * *

= رقم (١٠٥٩) في صحيح الجامع. ومما يدل على ذلك أيضًا قوله ﷺ: « خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن من قبل أن تسرج دوابه! ولا يأكل إلا من عمل يده ». رواه البخاري. فهذا الحديث دال على أن الزبور لم يكن كتابًا مطولًا، وإنما كان على حجم بعض سور القرآن العظيم من (المئين) كما صرح به النبي ﷺ في الحديث أعلاه. والمئون: هي السور التي عدد آياتها مائة، أو تزيد قليلًا، كسورة الكهف مثلًا. ولذلك يفهم كيف يكون الزبور مضمنًا بكتابنا نحن المسلمين. وهو هنا سماه قرآنًا؛ لأن كل كتاب أنزل للتلاوة والقراءة يسمى قرآنًا، إلا أن خصوص التسمية عند الإطلاق تقع على ما أنزل على نبينا محمد بن عبد الله ﷺ.

تبصرة:
في أوقات القرآن

لا شك أن القرآن هو لكل الأوقات، لكن المؤمن لا يعيش حياته ارتجالًا. سواء في ذلك عباداته وعاداته. كيف وقد جعل اللّه علينا فرائضه أوقاتًا؟ ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣]. ومن هنا كان إرشاد الحق عباده الذاكرين إلى أوقات بعينها، باعتبارها ذات جمال خاص للعبادة، والذكر، وقد كانت أوقات الأنبياء والصالحين - كما جاء في كتاب اللّه - تتوزع بين الغداة والعشي ثم الليل. والقرآن هو لتلك الأوقات جميعًا. لكن لك أن تختار منها حسب ظروفك وأحوالك. وبعضها طبعًا أفضل من بعض، كما سترى بحول اللّه. فإن كنت بدأت نهارك بِوِرْدِ الأذكار؛ فَلَكَ أن تجعل ورد القرآن مساءً، أو بليل.

إن قرآن المساء وذِكْرَهُ - كقرآن البكور - له ذوق خاص عند الذاكرين المفرِّدين، كما في كتاب اللّه. قال ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

فالغدو هو البكور من الصباح، أي أول النهار وبدايته. والآصال، مفرده: أصيل. وهو كما في كتب اللغة والتفسير:

(وقت ما بين العصر إلى الغروب). فهو سويعات آخر النهار، حيث يبرد حر الشمس، وتهدأ أشعتها، وتلين أضواؤها، وتطول الظلال وتمتد. ولذلك كان من أجمل أوقات النهار.

فلا غنى لك أخي السائر عن زاد المساء، فهو زاد الأنبياء والصديقين! قال ﷻ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝٣٧ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨].

وفي هذا الوقت كانت معجزة نبي الله داود عليه السلام تتجلى في مجلس ذكره؛ حيث تجتمع إليه الطيور للذكر، وتردد معه الجبال التسبيحات! قال سبحانه: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ١٧ - ١٩]. وقال تعالى في ذلك أيضًا: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ [سبأ: ١٠]. ومعنى أوِّبي: سبِّحي! والتأويب: الترجيع والترديد، فهي كانت ترجع معه وتردد التسبيح بوعيها؛ تسخيرًا من الله، لا بالصدى؛ لأن الأوبة كالتوبة وزنًا ومعنى. فالعشي أو الأصيل وقت فيه أسرار عجيبة، منها

أنه وقت سجود الكائنات من غير الإنسان لله الواحد القهار. يقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥].

ومنها أنه وقت الذاكرين المخلصين الذين يريدون وجه الله تعالى وحده. قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

اجعل لك إذن جلسة قرآنية بالمساء تتلو كتاب الله ذاكرًا متدبرًا. اقرأ فيها وردك من القرآن العظيم، على ما رتبت على نفسك من الأحزاب والأجزاء، حسب دورة ختمتك للقرآن كل شهر، أو كل أربعين يومًا، على حسب ظروف عملك وأعمالك. وقد كان الصحابة يحفلون بختم القرآن بمنازلهم، فعن ثابت أن أنس بن مالك ﷺ كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم [١].

وقد ورد في الحديث ضبط مدة الختم أنها - على الأحسن - ما بين شهر وأربعين يومًا، وذلك قول

(١) أورده الهيثمي بمجمع الزوائد في (باب الدعاء عند ختم القرآن) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. مجمع الزوائد: الحديث رقم (١١٧١٣).

رسول الله ﷺ: « اقرأ القرآن في كل شهر! اقرأه في عشرين ليلة! اقرأه في عشر! اقرأه في سبع! ولا تزد على ذلك »[1].

وقال ﷺ أيضًا: « اقرأ القرآن في كل شهر! اقرأه في خمس وعشرين! اقرأه في خمس عشرة! اقرأه في عشر! اقرأه في سبع! لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث »[2]. ثم قال ﷺ « اقرأ القرآن في أربعين »[3].

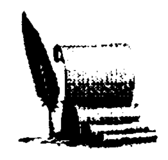
* * *

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد عن عبد الله بن عمر، وصححه الألباني. انظر حديث رقم (١١٥٧) في صحيح الجامع.

(٣) رواه الترمذي عن ابن عمر. وحسنه الألباني. انظر حديث رقم (١١٥٤) في صحيح الجامع.



تبصرة:
في قرآن القيام

لكن لا تنس حظ الليل من القرآن الكريم! فاجعل جزءًا من ورد القرآن صلاة بليل. وإن نشط سيرك فاجعله كله قيامًا! ذلك خير. فقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس: « **نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل** ». قال سالم: فكان عبد الله، بعد ذلك، لا ينام من الليل إلا قليلًا [1]. وذلك مسلك الربانيين. فانظر إلى هذا المشهد الجميل من قول الله تعالى في وصف المؤمنين من أهل الكتاب الذين أدركوا الإسلام فأسلموا: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣].

انظر كيف أناروا لياليهم الخضراء بتلاوة القرآن صلاةً بليل! وانخرطوا في حركة سير إلى الله عجيبة تخترق الآفاق، وتستدر من المحبة أنوار الأشواق، في خلوة القرآن! وقال الرب الكريم في وصف أصحاب سيدنا محمد ﷺ عامة: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ

---

(١) متفق عليه.

شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]. فعجبًا لمن يبصر هذا الجمال ولا يلتحق بالركب! عجبًا كيف تبطئ يا أخي والسير قد انطلق!

أما أهل العزائم ممن شدوا الرحال، فقد أَدْلَجوا عبر منازل السُّرَى إلى ديار الحبيب! وأناروا مسالك الليالي بأقمار القرآن، مسافرين إلى الرحمن ركوعًا وسجودًا، يحدوهم الخوف ألا يكونوا من الواصلين، أو ألا يكونوا من المفرِّدين السابقين! قال المصطفي ﷺ يصفهم في حديث يفيض بالأنس والجمال: « **من خاف أَدْلَجَ، ومن أدلج بلغ المنزل! ألا إن سلعة الله غالية! ألا إن سلعة الله الجنة** » [1]، والإدلاج: هو السير بليل، أو السفر الليلي، من الدُّلْجَة: وهي الظلمة. والمقصود طبعًا قيام الليل، شبَّهه بالإدلاج؛ لما فيه من معنى السفر الروحي، وتحليق النفس في فضاءات السير إلى الله.

فيا أيها السالك المحب! إن كنت صادقًا؛ فأحي جزءًا من ليلك بالقرآن! وخاصة ثلثه الأخير، وإن لم تستطع فوسطه وإن لم تستطع فأوله! وكل ذلك أفضل في وقت الأصيل أو البكور. وفي كلٍّ خير.

---

(١) رواه الترمذي والحاكم. وصححه الألباني، انظر حديث رقم (٦٢٢٢) في صحيح الجامع.

ثم الصلاة بالقرآن خير من تلاوته مجردًا عن الصلاة! وكلما اختلى الإنسان بصلاة النافلة كانت، أعظم في الأجر؛ حتى تبلغ درجة الفريضة من حيث قيمتها. وذلك بنص حديث رسول اللَّه ﷺ؛ وهو حديث عجيب لمثله تشد الرحال! قال ﷺ: « **صلاة الرجل تطوعًا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسًا وعشرين!** »(١).

ولذلك يحسن وِرْد القرآن كله بليل؛ لأنه أضمن للخلوة مع اللَّه ﷻ ، فهو أفضل من الأصيل قطعًا وآخر الليل أفضل من أوله، كما هو ثابت في السنة. قال ﷺ: « **إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل اللَّه إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فيعطى؟ هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى ينفجر الصبح** »(٢)؛ ولذلك قال ربنا جل وعلا بنص القرآن العظيم: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـࣰٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل: ٦].

ولكن خذ من العمل في ذلك حسب ما تطيق! واشتغل بالأوراد على حساب ظروف عملك، ولا تكلف نفسك فوق طاقتها. وتحرَّ من الأوقات ما يعينك على دوام العمل فذلك أفضل. وفي حديث: « **يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون! فإن اللَّه لا يمل حتى تملوا. وإنَّ أحبَّ**

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده عن صهيب الرومي ﷺ. وصححه الألباني، انظر حديث رقم (٣٨٢١) في صحيح الجامع.

(٢) رواه مسلم.

الأعمال إلى الله ما دُووِمَ عليه وإن قل » [١]، وفي رواية أخرى صحيحة: « **اكلفوا من العمل ما تطيقون! فإن الله لا يمل حتى تملوا! وإن أحب العمل إلى الله تعالى أدومه وإن قل »** [٢]! وأما الذي يشتغل بالحفظ فورده القرآني إنما هو الاشتغال بمحفوظه ضبطًا وإتقانًا، والقيام به من الليل قيامًا. حتى يفرغ من جمع القرآن كاملًا. وآنئذ ينخرط في سلك الختمات الكلية.

وقد جوز العلماء لمن غلبه النوم قضاء أوراد القيام صدر النهار؛ لحديث النبي ﷺ قال: « **من نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر. كتب له كأنما قرأه من الليل »** [٣]، لكن لم لا تكون من الذاكرين السابقين؟ بل لم لا تكون من القانتين؟ بل لم لا تكون من المقنطرين؟ والأمر أيسر مما يصوره لك إبليس تهويلًا وتثبيطًا؟ ثم كيف لا بعد؟ وهذا قول رسول الله ﷺ يعرض عليك أجرًا يمده بحر الغيب مددًا..! يقول ﷺ: « **من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين! ومن قام بمائة آية كتب من القانتين! ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين! »**[٤].

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وصححه الألباني، انظر حديث رقم (١٢٢٨) في صحيح الجامع.

(٣) رواه مالك في الموطأ، ومسلم في صحيحه.

(٤) رواه أبو داود وابن حبان عن عبد الله بن عمر مرفوعًا. وصححه الألباني، انظر حديث رقم (٦٤٣٩) في صحيح الجامع.

فلتقم على الأقل بعشر آيات - من غير الوتر - ولا تكن من الغافلين! فسورة (الكافرون) مثلًا ست آيات، وسورة الإخلاص: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أربع آيات، فتلك عشر! لكن أحسن تدبرها وأحسن ركوعها وسجودها! فقد قال ﷺ: « **أيعجز أحدكم أن يقرأ في كل ليلة ثلث القرآن؟ إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ من أجزاء القرآن** »[١].

وإن أنعم الله عليك يا سالك بمحبته، ومَنَّ عليك بإقبال عزيمة التعبد وانتهاضها للسير الدائم إليه، المشتاق إلى نور جماله وظل جلاله؛ فقم بسورة في القرآن ذات أسرار خاصة، هي فقط ثلاثون آية! تنفعك في قبرك، فتكون لك فيه حصنًا من عذابه - عافانا الله وإياك من عذابه - إنها سورة الملك! أي (تبارك). فهي السورة المنجية من عذاب القبر كما في الأحاديث الصحاح، ولهذا تسمى أيضًا بـ (المانعة). قال رسول الله ﷺ: « **سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر** »[٢]. وقال أيضًا: « **إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفِرَ له! وهي: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن مردويه عن ابن مسعود. وصححه الألباني، انظر حديث رقم (٣٦٤٣) في صحيح الجامع.

بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ » [(١)]، ومثله قوله ﷺ: **« سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صحابها حتى أدخلته الجنة! وهي تبارك »** [(٢)].

ولك أن تقوم ليلة الجمعة بسورة الكهف خاصة [(٣)]؛ لما صح في ذلك من فضل هذه السورة لمن قرأها من يوم الجمعة بالليل أو بالغداة. فقد قال ﷺ: **« من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة؛ أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق! »** [(٤)]، ومثله قوله ﷺ: **« من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين! »** [(٥)]. قال ابن حجر في أماليه مبينًا ذلك: (المراد: اليوم بليلته، والليلة بيومها). ولا يخفى عليك فضل

---

(١) رواه أحمد والأربعة وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة. وقال الألباني: حديث حسن، انظر حديث رقم (٢٠٩١) في صحيح الجامع.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط والضياء عن أنس. وحسنه الألباني، حديث رقم (٣٦٤٤) في صحيح الجامع.

(٣) بشرط ألا تفرد ليلة الجمعة بالقيام من دون سائر الأيام؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك، قال: **« لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام بين الليالي، ولا تختصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام؛ إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم! »** رواه مسلم. فإن كان في قيام يقومه يوميًا، أو يوم بعد يوم؛ فهو حسن للأحاديث المذكورة أعلاه، ولما هو مفهوم من حديث النهي هذا.

(٤) رواه البيهقي في السنن، وفي شعب الإيمان، ورواه الحاكم بلفظ قريب منه. وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٦٤٧١).

(٥) رواه الحاكم والبيهقي في السنن، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٦٤٧٠).

صلاة النوافل بالليل على النهار!

ذلك من حق القرآن العظيم عليك، فلا تهمله ولا تهجره! بل اشتغل به ذكرًا بالنهار، وقيامًا من الليل، ثم تدبرًا وتفكرًا في كل حين! اجعله زاد طريقك، وصاحب سفرك، وخليل خلوتك، ورفيق جلوتك. وعش به وله. واحذر أن تصيبك شكوى رسول الله ﷺ مما حكاه الله في القرآن، إذ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

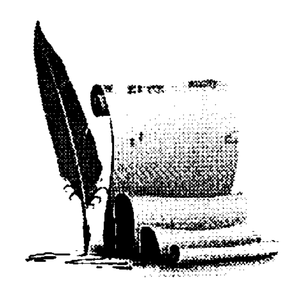
* * *

[illegible]

[illegible]

الفَصِلُ الرَابعُ

في عهد البلاغ

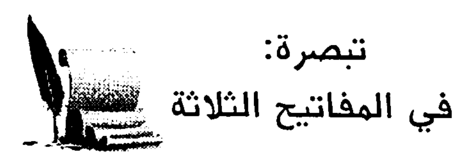


وهذا عهد فصلناه في كتيبنا (بلاغ الرسالة القرآنية). وإنما نورد ههنا خلاصته العملية، بإيجاز شديد؛ لكمال التطبيق وشمول التحقيق لميثاق العهد.

ومسالكه هي المفاتيح الثلاثة لأوراد العمل: بالدخول فيها يتحقق للمسلم السلوك في مدرسة القرآن. ويرتقي أول مدارج المصلحين بحول اللّٰه. فيخرج بذلك من القول إلى العمل؛ إذ لا فائدة لحكم ليس يتحقق له مناط مطلقًا في حياة الإنسان. وإنما جاء الدين ليكون حركة إنسانية في الزمان والمكان، لا نصوصًا تتلى فقط، ولا قصصًا تحكى فحسب. وإنما الأمانة التي حملها الإنسان عمل ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

والإسلام لـمَّا بيَّن بلاغاته للناس؛ بيَّن لهم - فيما بيَّن - وسائل الوصول إليها، وطرائق اكتساب صفاتها. فجعل لكل أصل عملًا، ولكل عمل بابًا، ولكل باب مفتاحًا.

* * *



تبصرة: في المفاتيح الثلاثة

ومدار باب الخروج إلى العمل على ثلاثة مفاتيح، أو ثلاث خطوات، هي أصول لما سواها، نَسُكُّها في العبارات التالية:

١ - **اغتنام المجالسات.**

٢ - **والتزام الرباطات.**

٣ - **وتبليغ الرسالات.**

وبيان ذلك هو كما يلي:

الخطوة الأولى: في اغتنام المجالسات:

وهو أن تحرص على (**مجالس القرآن**) قصد التعرف إلى اللَّه والتعريف به، والتخلق بأخلاق رسول اللَّه ﷺ والتحلم بحلمه. و (مجالس القرآن) هي خير أنواع (مجالس الذكر)، التي تضافرت الأدلة من كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ على أنها محبوبة عند اللَّه، مذكورة في ملئه الأعلى، تشهدها الملائكة، وتنزل عليها السكينة، وتغشاها الرحمة، ويذكرها اللَّه فيمن عنده. وليس شيء أفيد منها في تربية الإنسان المسلم على الصلاح والفلاح. وهي من أهم الوسائل التربوية التي لا غبش فيها ولا غبار، من حيث استنادها إلى الأدلة المتواترة بالمعنى، عبر

الأحاديث الوفيرة المستفيضة. نذكر منها الحديث المشهور، الذي رواه أبو هريرة مرفوعًا إلى النبي ﷺ، والذي فيه: « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده. ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه »[1].

وكذلك الحديث المتفق عليه، الذي رواه أبو هريرة أيضًا، مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: « إن لله ملائكة سياحين في الأرض، فضلًا عن كتاب الناس، يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجاتكم! فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا؟ فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا. فيقول: فما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله ما رأوها. فيقول: كيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ فيقولون: من النار. فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها.

---

(١) رواه مسلم.

فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة. فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان، ليس منهم، إنما جاء لحاجة فيقول: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم! » [١]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. ومجالس القرآن هي للتدرب على الوظائف التالية:

أ - الاشتغال بالله تعرفًا وتعريفًا.

ب - الاشتغال بالقرآن تبصرًا وتبصيرًا.

ج - الاشتغال بالشمائل المحمدية تخلقًا وتخليقًا.

الخطوة الثانية: التزام الرباطات:

وذلك بعمران المساجد والتزام الجماعات؛ قصد شهود الأوقات واكتشاف الصلوات.

فالمقصود بـ (الرباطات) إذن: بيوت الله - حيثما كانت - بيوت، ﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨]. ذلك ما سماه

---

(١) متفق عليه.

رسول اللَّه ﷺ بـ (الرباط)، في الحديث الصحيح الذي قال فيه ﷺ: « **ألا أدلكم على ما يمحو اللَّه به الخطايا ويرفع به الدرجات؟** » قالوا: بلى يا رسول اللَّه. قال: « **إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. فذلكم الرباط! فذلكم الرباط! فذلكم الرباط!** »[(١)].

فتدبر... ثم أبصر!

ثم اجتهد أيها السائر المحب، والفتى المرابط؛ لتكون صلاتك صلاة حقًّا. واحذر عليها من شيئين: نقر الغراب، وشرود البال. فإنما المرابط من رابط بقلبه ووجدانه، لا ببدنه فقط! وإنما غاية الرباط صلاح الصلاة، وإقامتها حق إقامتها. فإذا فسدت كان ذلك مضيعة للأعمار وسبيلًا إلى النار! نعوذ باللَّه منها! فاجعل رباطك فضاء لعمران الصلاة. ابْنِهَا بناءً في قلبك ووجدانك، كما تبني حياتك لحظة لحظة، وحركة حركة! واجعل نصب عينيك معلمك رسول اللَّه ﷺ. يعلمك ويصلح لك، كما كان يصلح صلاة المسيء صلاته، بما ورد في الحديث الصحيح: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على رسول اللَّه ﷺ، فرد رسول اللَّه ﷺ وقال: « **ارجع فصلِّ فإنك لم تصل!** » فرجع الرجل فصلى كما كان

---

(١) رواه مالك في موطئه، ومسلم في صحيحه.

صلى. ثم جاء إلى النبي ﷺ. فقال رسول الله: « وعليك السلام » ثم قال: « ارجع فصل فإنك لم تصل! » حتى فعل ذلك ثلاث مرات. فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، ما أحسن غير هذا! علمني! قال ﷺ: « إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسَّر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها » [1].

وقد ورد لهذا الحديث بيان عجيب في حديث آخر، فيه دلالة لطيفة على طلب الاطمئنان البدني والنفسي والاسترخاء العصبي، بما يكفل هدوء المصلي، وسكينته، ومرابطته الوجدانية. وذلك قوله ﷺ: « إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء، كما أمره الله، فيغسل وجهه، ويديه إلى المرفقين، ويمسح رأسه، ورجليه إلى الكعبين، ثم يكبر الله، ويحمده ويمجده، ويقرأ ما تيسر من القرآن مما علمه الله، وأذن له فيه، ثم يكبر فيركع، فيضع يديه على ركبتيه، ويركع حتى تطمئن مفاصله وتسترخي...! ثم يقول: سمع الله لمن حمده، فيستوي قائمًا حتى يأخذ كل عظم مأخذه، ويقيم صلبه، ثم يكبر فيسجد، فيمكِّن جبهته من الأرض، حتى تطمئن مفاصله وتسترخي! ثم يكبر فيرفع رأسه، فيستوي

---

(١) متفق عليه.

قاعدًا على مقعدته، فيقيم صلبه، ثم يكبر فيسجد حتى يمكن وجهه ويسترخي! لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك » [١].

فاحذر بعد هذا أن يقال لك يوم القيامة: صلِّ! فإنك لم تصل! وأنى لك أن تصلي في يوم انقطعت فيه الأعمال؟ ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

والرباط - بعد هذا وذاك - هو تمام لقطيعة بينك وبين عالم المنكرات، وظلام الكبائر والموبقات. إن التزمته حقًّا كان لك حصنًا حصينًا من الانحراف والضياع، وسدًّا منيعًا دون التردي والسقوط. وذلك قول اللّه ﷻ الصريح المليح: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فتدبر ثم أبصر!

الخطوة الثالثة: تبليغ الرسالات، بالقيام بالبلاغات، والدعوة إلى الخيرات:

وتبصرة هذا المفتاح هي: جواب (كيف البلاغ؟).

أما تأصيله فقد سبق تقريره بقواعده، في تبصرة البلاغ الخامس، من كتيبنا (بلاغ الرسالة القرآنية).

* * *

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم (٢٤٢٠).



تبصرة:
كيف البلاغ؟

ليس البلاغ اليوم في المسلمين بلاغ (خبر) هذا الدين، فذلك أمر قام به الأولون. وما بقي اليوم صقع في الأرض لم تبلغه قصة الرسالة الإسلامية، على الجملة. ثم إنما المقصود بمشروعنا هذا هو دار الإسلام. هذا العالم الإسلامي الذي لَانَ فيه التدين، وضعف فيه التمسك بالكتاب. مع أنه يتلوه - أو يتلى عليه - كل حين.

إنما المسلمون اليوم في حاجة إلى (إبصار)؛ إبصار الحقائق القرآنية التي تتلى عليهم صباح مساء، وهم عنها عَمُون، على نحو ما وصف اللّٰه سبحانه في قوله: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، وقوله سبحانه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥]. فالبلاغ الذي نحن في حاجة إليه إنما هو بلاغ (التبصير)، لا بلاغ التخبير.

أما مادته فما ذكرناه من أصول الرسالة القرآنية، وبلاغات القرآن: من اكتشاف القرآن العظيم، والتعرف إلى اللّٰه والتعريف به، واكتشاف الحياة الآخرة، واكتشاف الصلوات

وحفظ الأوقات، وحقيقة الدعوة إلى الخير، وحكمة اتباع السنة؛ تزكية وتعلمًا وتحلمًا، ومفاتيح ذلك كله في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فتلك الخطوات الثلاث هي مفاتيح العمل لمن عقد العزيمة على السير إلى الله مُتَعَرِّفًا ومُعَرِّفًا.

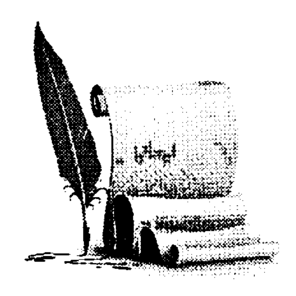
وتلك هي الأصول الدينية، التي تشكل المسالك الرئيسة، لسير العبد إلى الله في طريق التَّبَصُّر والتَّبْصير.

* * *

الفَصِلُ الخَامِسُ

في المختار من الأذكار

وهو أقسام:



أذكار من القرآن العظيم:

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

* ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ١ - ٧] (١). آمين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

* ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ

(١) فضل سورة الفاتحة - عند من يبصرها - لا يداني في القرآن، ولا فيما سبقه من كتب، ويكفيها عظمة وقدرًا أنها المسماة (أم القرآن)، وهي التي امتن الله بها خليله المصطفى ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧]، ولذلك قال النبي ﷺ: « أم القرآن هي: السبع المثاني والقرآن العظيم » رواه البخاري. وأوضح منه قوله ﷺ: « والذي نفسي بيده! ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها! » رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة، وصححه الألباني، انظر حديث رقم: (٧٠٧٩) في صحيح الجامع.

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١ - ٥] [(١)].

* ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] [(٢)].

---

(١) وعن الشعبي قال: قال عبد الله - يعني ابن مسعود -: (من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في بيت، لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح: أربع آيات من أولها، وآية الكرسي، وآيتين بعدها، وخواتيمها) رواه الطبراني. وقال الهيثمي: (ورجاله رجال الصحيح، إلا أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود) مجمع الزوائد، الحديث رقم (١٧٠١٣) وستأتي في ذلك أحاديث أصح. وفضلًا عن أنه قرآن متعبد بتلاوته؛ فقد صحَّ خصوص الذكر بذلك في أحاديث متناثرة؛ منها ما رواه مسلم عن ابن عباس ﷺ قال: (بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه فقال: « هذا باب من السماء فتح اليوم، ولم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك » فقال: « هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلَّم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته! » يعني: مما ورد فيهما من الدعاء. رواه مسلم.

(٢) لقد أقر النبي ﷺ ما سمعه أبو هريرة ممن حدثه بليل؛ إذ قال له: « إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾. وقال لي: « لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح » رواه البخاري. وقال ﷺ: « من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » رواه النسائي وابن حبان عن أبي أمامة. تحقيق الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم (٦٤٦٤) في صحيح الجامع.

* ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٦، ٢٥٧].

* ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٤ - ٢٨٦][1].

---

(١) هل تدري ما خواتيم البقرة؟ إنها آيات تلقاها رسول الله ﷺ وحيًا في السماء ليلة الإسراء والمعراج! ففي صحيح مسلم عن عبد الله قال: (لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها =

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١ - ٦] (١).

= ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها. قال: ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ [النجم: ١٦]. قال: فراش من ذهب. قال: فأعطي رسول الله ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا المقحمات) رواه مسلم.

وهل تبصر شيئًا من أسرارها؟ تدبر إذن هذين الحديثين:

الأول: قول رسول الله ﷺ: « **أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة؛ من كنز تحت العرش، لم يعطها نبي قبلي!** » رواه أحمد والطبراني والبيهقي عن حذيفة، ورواه أحمد عن أبي ذر. وصححه الألباني، انظر حديث رقم (١٠٦٠) في صحيح الجامع.

والثاني: قوله ﷺ: « **إن الله تعالى كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام! وهو عند العرش، وإنه أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان** » رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن النعمان بن بشير، وصححه الألباني، انظر حديث رقم (١٧٩٩) في صحيح الجامع.

(١) قال رسول الله ﷺ: « **اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن: في البقرة، وآل عمران، وطه** ». رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم وصححه الألباني، انظر حديث رقم (٩٧٩) في صحيح الجامع. =

* ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٩، ٦٠] (١).

* ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

* ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ

= وقال أيضًا: « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة آل عمران: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني. انظر حديث رقم (٩٨٠) في صحيح الجامع.

(١) هذه الآية أصل عظيم في التعريف بالله - تعالى - وتوحيده، فقد قال البخاري في صحيحه: باب: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ (...) عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: « **مفاتح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** » رواه البخاري.

ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١ - ١٦].

* ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي

ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٨ ، ٢٩].

* ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ٩٩ - ١١٠] (١).

---

(١) سورة الكهف عظيمة الفضل جدًّا! وقد ورد في فضلها وفي فضل أوائلها، وأواخرها أحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ: « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال! » رواه مسلم. وفي رواية عنده: « من آخر الكهف ». ومن ذلك أيضًا أن رسول الله ﷺ لما ذكر الدجال وحذر من فتنته قال ﷺ: « فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف » رواه مسلم. ومثله قوله ﷺ: « يا أيها الناس! إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض - منذ ذرأ الله ذرية آدم - أعظم من فتنة الدجال! وإن الله ﷻ لم =

* ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي

= يبعث نبيًا إلا حذر أمته الدجال! وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة! (...) وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا، فناره جنة، وجنته نار! فمن ابتلي بناره فليستغث بالله! وليقرأ فواتح الكهف! » رواه ابن ماجه، وابن خزيمة، والحاكم، والضياء. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٧٨٧٥).
وهي سورة تتنزل الملائكة على قارئها رحمة وسكينة! فعن البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين [أي بحبلين]. فتغشَّته سحابة، فجعلت تدور وتدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبي ﷺ. فذكر ذلك له، فقال: « تلك السكينة. تنزلت للقرآن » متفق عليه. وقد وردت هذه القصة مفصلة عند مسلم فيما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ أن أسيد ابن حضير ﷺ؛ بينما هو ليلة يقرأ في مربده؛ إذ جالت فرسه، فقرأ؛ ثم جالت أخرى! فقرأ؛ ثم جالت أيضًا! قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى [يعني ابنه الصغير] فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي، فيها أمثال السرج! [ج. سراج: وهي المصابيح] عرجت في الجو حتى ما أراها! قال: فغدوت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: « اقرأ ابن حضير! » قال: فقرأت؛ ثم جالت أيضًا! فقال رسول الله ﷺ: « اقرأ ابن حضير! » قال: فقرأت ثم جالت أيضًا! فقال رسول ﷺ: « اقرأ ابن حضير! » قال: فانصرفت وكان يحيى قريبًا منها، خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة. فيها أمثال السرج. عرجت في الجو حتى ما أراها! فقال رسول الله ﷺ: « تلك الملائكة كانت تستمع لك! ولو قرأت لأصبحت يراها الناس، ما تستتر منهم! » رواه مسلم.
وقد صح فضل قراءتها من يوم الجمعة، في غداتها أو ليلتها، قال ﷺ: « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة؛ أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق! » رواه البيهقي في السنن، وفي شعب الإيمان، ورواه الحاكم بلفظ قريب منه. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٦٤٧١). ومثله قوله ﷺ أيضًا: « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين » رواه الحاكم والبيهقي في السنن، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٤٧٠).

ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج: ١٨].

* ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٥ - ٣٨].

* ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٢٧ - ٣٠].

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ

لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١٨ - ٢٤] (١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

* ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ - ٦] (٢).

---

(١) يقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا مائة غير واحد لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر » وفي رواية أخرى من الصحيح: « من أحصاها دخل الجنة » متفق عليه.

(٢) قال ﷺ: « إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك ». رواه أحمد وأبو داود والترمذي =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] (ثلاث مرات).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ١ - ٥] (ثلاث مرات).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس: ١ - ٦] (ثلاث مرات) [١].

= والحاكم، ورواه البيهقي عن نوفل بن معاوية، كما رواه النسائي والبغوي وابن قانع والضياء عن جبلة بن حارثة، وحسنة الألباني، انظر حديث رقم (٢٩٢) في صحيح الجامع.

(١) قال النووي في كتاب الأذكار: (ورينا في سنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهما بالأسانيد الصحيحة، عن عبد الله بن خبيب ﷺ - بضم الخاء المعجمة - قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة، نطلب النبي ﷺ، ليصلي لنا فأدركناه، فقال ﷺ: « قل! » فلم أقل شيئًا، ثم قال: « قل! » فلم أقل شيئًا، فقلت: يا رسول الله! ما أقول؟ قال: « قل هو الله أحد، والمعوذتين، =

استغفار:

« اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » (١).

« أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه » (ثلاثًا) (٢).

= حين تمسي وحين تصبح، ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء » قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) وفي صحيح البخاري عن شداد بن أوس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: « سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت.. » إلخ (كما هو مذكور أعلاه) فقال ﷺ بعدها: « من قالها بالنهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » رواه البخاري.

(٢) يمكن لمن له متسع من الوقت أن يبلغ بها المائة إن شاء. فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » رواه البخاري، وقال ﷺ: « استغفروا ربكم إني أستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة » رواه البغوي، وصححه الألباني. انظر حديث رقم (٩٤٤) في صحيح الجامع. وقال ﷺ: « إنه لَيُغَانُ على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة! » رواه مسلم. وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف! » رواه أبو داود والترمذي والحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني أيضًا في صحيح الترمذي (١٧٢/٣).

تسبيح وتهليل:

« سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته » (ثلاث مرات) [١].

« الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا » (ثلاثًا) [٢].

---

(١) عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال ﷺ: **« ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ »** قالت: نعم. فقال النبي ﷺ: **« لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته »** رواه مسلم.

(٢) التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، تلك أربعة أنواع من الذكر متواترة عن رسول الله ﷺ، وذلك من خلال أحاديث كثيرة. منها قوله ﷺ: **« لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ أحب إلي مما طلعت عليه الشمس! »** (رواه مسلم). وقوله ﷺ: **« يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة. فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة. ونهي عن المنكر صدقة. ويجزي من ذلك ركعتان تركعهما من الضحى »** رواه مسلم. وروي أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: **« أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر... إنما هن أربع؛ فلا تزيدن عليَّ! »** رواه مسلم. وقال رسول الله ﷺ في ذلك أيضًا: **« لقيت إبراهيم ﷺ ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام! وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر »** رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

ومن ذلك أيضًا قول النبي ﷺ: **« كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في =**

« لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير » (عشر مرات)[١].

الصلاة الإبراهيمية:

« اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت

= الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم » متفق عليه. ويمكن لك أن تبلغ في الذكر بها عدد المائة؛ للحديث الصحيح من قول النبي ﷺ: « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ يسبح اللَّه مائة تسبيحة، فيكتب اللَّه له بها ألف حسنة! ويحط عنه بها ألف خطيئة! » (رواه مسلم). ومثله أيضًا قوله ﷺ: « من قال سبحان اللَّه وبحمده في يوم مائة مرة؛ حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر » (متفق عليه).

وأما الصيغة المختارة أعلاه فللحديث الصحيح الذي رواه ابن عمر قال ﵄: (بينما نحن نصلي مع رسول اللَّه ﷺ إذ قال رجل من القوم: اللَّه أكبر كبيرًا والحمد للَّه كثيرًا وسبحان اللَّه بكرة وأصيلًا. قال رسول اللَّه ﷺ: « من القائل كذا وكذا؟ » فقال رجل من القوم: أنا يا رسول اللَّه، قال: « عجبت لها، فتحت لها أبواب السماء! » قال ابن عمر: ما تركتهن منذ سمعتهن من رسول اللَّه ﷺ) رواه مسلم.

وعن جبير بن مطعم أنه رأى رسول اللَّه ﷺ يصلي صلاة، فقال: « اللَّه أكبر كبيرًا، اللَّه أكبر كبيرًا، اللَّه أكبر كبيرًا، والحمد للَّه كثيرًا، والحمد للَّه كثيرًا، والحمد للَّه كثيرًا. وسبحان اللَّه بكرة وأصيلًا - ثلاثًا - أعوذ باللَّه من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه » رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان، والطبراني في الكبير.

(١) وعن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: « من قال: لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة؛ كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي! ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به؛ إلا أحد عمل عملًا أكثر من ذلك » متفق عليه.

على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد » (عشر مرات) [(١)].

ولك أن تختصر - إن شئت - هكذا:

(اللهم صلِّ وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد). (عشرًا).

---

(١) هذه صيغة الصلاة الإبراهيمية، مختارة ومختصرة من عدة صيغ في الصحيحين وفي غيرهما. منها ما روي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم، قال: « **قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...** » إلخ. متفق عليه. وفضل الصلاة على سيدنا محمد عظيم جدًّا، وهي مفتاح خير كبير، وقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة، منها قوله ﷺ: « **من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرًا** » (رواه مسلم)، وقوله ﷺ: « **من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات** » رواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، والنسائي، والحاكم، وصححه الألباني، انظر حديث رقم (٦٣٥٩) في صحيح الجامع. وقوله ﷺ: « **كل دعاء محجوب حتى يصلي على محمد وعلى آل محمد ﷺ** » رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس، كما رواه البيهقي عن علي موقوفًا. وحسنه الألباني، انظر حديث رقم (٤٥٢٣) في صحيح الجامع. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، عن الرواية الموقوفة على علي ﷺ: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

دعاء الصباح والمساء:

« أصبحنا وأصبح الملك للّٰه رب العالمين. والحمد للّٰه، لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللّٰهم إني أسالك خير هذا اليوم، فتحه ونصرَه ونورَه وبركَته وهدَاه. وأعوذ بك من شر ما فيه، وشر ما قبله، وشر ما بعده » [١].

« اللّٰه بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك المصير » [٢].

« أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد ﷺ، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا، وما كان

---

(١) هذا الدعاء مركب من حديثين: الأول: رواه مسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: كان نبي اللّٰه ﷺ إذا أمسى قال: « أمسينا وأمسى الملك للّٰه والحمد للّٰه، لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له... » إلخ. إلى أن قال: وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: « أصبحنا وأصبح الملك للّٰه » رواه مسلم.
والثاني: رواه أبو داود قال: قال ﷺ: « إذا أصبح أحدكم فليقل: أصبحنا وأصبح الملك للّٰه رب العالمين. اللّٰهم إني أسالك خير هذا اليوم... » إلخ، إلى أن قال: « ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك » وحسنه الألباني، انظر حديث رقم (٣٥٢) في صحيح الجامع.

(٢) وقال ﷺ: « إذا أصبح أحدكم فليقل: اللّٰهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير. وإذا أمسى فليقل: اللّٰهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور » رواه الترمذي عن أبي هريرة، وحسنة الألباني في صحيح الجامع الصغير، انظر حديث رقم (٣٥٣).

من المشركين » [١].

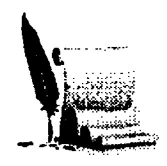
ثم تدعو بعد ذلك بدعائك الخاص، بما شئت من خيري الدنيا والآخرة، لنفسك وأهلك ولأمة المسلمين. ثم تختم بقولك: « **سبحانك اللَّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك** » [٢].

* * *

---

(١) كان [النبي ﷺ] إذا أصبح وإذا أمسى قال: « **أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص...** » إلخ رواه أحمد والطبراني، وصححه الألباني، انظر حديث رقم (٤٦٧٤) في صحيح الجامع.

(٢) قال ﷺ: « **كفارة المجلس أن يقول العبد: سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، أستغفرك وأتوب إليك** » رواه الطبراني عن ابن عمر، وعن ابن مسعود. وصححه الألباني، انظر حديث رقم (٤٤٨٧) في صحيح الجامع. وفي رواية النسائي والحاكم أنه ﷺ قال: « **فإن قالها في مجلس ذكر كانت كالطابع يطبع عليه! ومن قالها في مجلس لغو كانت كفارة له** » رواه النسائي والحاكم عن جبير بن مطعم، وصححه الشيخ الألباني. انظر حديث رقم (٦٤٣٠) في صحيح الجامع.



تبصرة

ولا تنس ثلاثة أدعية أساسية في اليوم والليلة؛ فإن المسلم يُحْفَظ بها ويسدَّد: الأول: دعاء الخروج من المنزل، والثاني: دعاء النوم. والثالث: دعاء الاستيقاظ من النوم.

* فأما دعاء الخروج: فهو قول النبي ﷺ: « **بسم اللَّه، توكلت على اللَّه ولا حول ولا قوة إلا باللَّه. اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل، أو نضل، أو نظلم أو نُظلم، أو نَجْهل أو يُجْهل علينا!** » (٢).

* وأما دعاء النوم فهو أن يقول - بعد قراءة آية الكرسي -:

---

(٢) هذا الدعاء مركب من حديثين صحيحين، أولهما قول النبي ﷺ: « **من قال - يعني إذا خرج من بيته -: بسم اللَّه، توكلت على اللَّه. ولا حول ولا قوة إلا باللَّه؛ يقال له: كُفيت ووُقيت وهُديت، وتنحى عنه الشيطان** » قال الترمذي: حديث حسن. زاد أبو داود في روايته: « **فيقول - يعني الشيطان لشيطان آخر - كيف لك برجل قد هديَ وكُفي ووُقي؟** » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٤٩٩).

والحديث الذي رواه الترمذي عن أم سلمة، أنه ﷺ: كان إذا خرج من بيته قال: « **بسم اللَّه، توكلت على اللَّه. اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نظلم أو نظلم، أو نجهل أو يجهل علينا!** » رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٧٠٨).

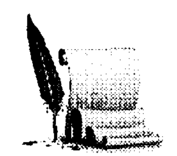
« باسمكَ ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »[٢].

* وأما دعاء الاستيقاظ من النوم؛ فهو: « الحمد للّٰه الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور »[٣].

* * *

(٢) قال النبي ﷺ: « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره؛ فإنه لا يدري ما خلفه عليه. ثم ليضطجع على شقه الأيمن، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين! » متفق عليه.

(٣) أخرج الشيخان أنه ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده، ثم يقول: « باسمك اللهم أحيا وباسمك أموت ». وإذا استيقظ قال: « الحمد للّٰه الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » متفق عليه.



تبصرة:
في بُرَاق الأوراد

وهو الورد الصامت! يطير بك سرًّا في سبحات الروح! يطير بك عاليًا، عاليًا جدًّا! ثم.. سويعات فإذا أنت على أعتاب الولاية! مع أهل اللَّه وخاصته، سبحانه جل علاه!

وأي وِرْدٍ أصدق على هذا المعنى من الصوم؟ ذلك هو بُرَاق الأوراد، ورافدها المتدفق على الوجدان بصمت!

تعددت النوافل وتشابهت في الخيرات، وتفرَّد الصومُ بسرٍّ الانتساب الخالص إلى اللَّه! وإذا بالعبد الصائم يدخل في مقام من مقامات العبودية، غير مقدرة بمكيال، ولا محصورة بحساب! مقام (عبد اللَّه) المخلِص المخلَص! الذي أخلص للَّه حتى صفا؛ فأخلصه اللَّه إليه؛ فكان من المخلَصين! وضربت المعاني بأجنحتها في عمق غيب لا طاقة لأحد من الخلق على سبر أغواره! فتولى اللَّه ﷻ لذلك إحصاء تلك المعانى، في صحيفة عبده المخصوص؛ بما شاء وكما شاء، مما لا دراية لأحد من الملائكة الكَتَبَة به! ولذلك قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى من الحديث القدسي: « **كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف! إلى ما شاء اللَّه! قال اللَّه ﷻ: إلا الصوم؛ فإنه لي! وأنا أجزي به!**

يدع شهوته وطعامه من أجلي! »[١].

فأن تكون من (الصائمين) حقًّا، معناه: أن تكون للّه وبه! فإذا أنت: تسمع لا كما يسمع الناس! وتبصر لا كما يبصر الناس! قال الحبيب المصطفى ﷺ في الحديث القدسي: « **إن اللّه تعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب! وما يتقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ النوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه!** »[٢].

النوافل شتى... نعم؛ لكنَّ أصفاها موردًا، وأخلصها مسلكًا، وأقربها طريقًا موصلة إلى ذلك المقام: هو الصوم! فهو بُرَاق الأوراد، أو الورد الصامت، الناطق بكل شيء، من الخير والجمال! إنه طريق سيار سريع؛ فلا تنس حظك منه! فأيامه لحظات تختلس من الدنيا! تمضي الدنيا وتفنى... وتبقى أيامه ضحى ممتدًا في الزمن الخالد!

---

(١) رواه مسلم قال الإمام عبد الرؤوف المناوي في فيض القدير، عند شرح هذا الحديث: وأنا أجزي به جزاءً كثيرًا، وأتولى الجزاء عليه بنفسي، فلا أكله إلى ملك مقرب، ولا غيره، لأنه سرٌّ بيني وبين عبدي، لا يطلع عليه غيري! (ص ٤٧١)..

(٢) رواه البخاري.

الصوم، نعم؛ لكنْ هل أنت تعرفه؟ فتَعرَّفْ عليه أولًا! إنه تاج النوافل وزينتها، ومُخُّ أسرارها! تلك آيات الصوم تقرؤها، وتلك أحاديثه تسردها؛ وذلك الانقطاع عن شهوتي البطن والفرج تعلنه؛ ولكن هل أنت تصوم؟

وإنما الصوم: ما تحقق به الذكر، وإلا فلا صوم! فهل أنت تصوم؟ اقرأ كلمات النبوة هذه، وتدبَّر، ثم أبصر! قال رسول الله ﷺ: « **رب صائم حظُّه من صيامه الجوع والعطش!** »[١].

كيف الصوم الذي به يكون الذكر إذن؟

هذه آية من بصائر الصوم في طريق الصائمين؛ لإدراك منبع الحكمة، والتعرف على سرِّ تلك النعمة! آية قد لا تخطر بصيرتها ببال! قال تعالى مخاطبًا السيدة الكاملة، مريم الصدِّيقة: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦]. هكذا: ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾: صمتٌ مطلق، وقطيعة تامة مع كل متكلم من الناس! نعم؛ ذلك حُكْمٌ من أحكام (شَرْع مَنْ قَبْلَنَا) هو منسوخ بشريعتنا[٢]، نعم؛ ولكنَّ الحكمة ما كانت

---

(١) رواه الطبراني عن ابن عمر، ورواه أحمد، والحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٣٤٩٠).

(٢) قال ﷺ: « لا صُمَات يوم إلى الليل! » رواه أبو داود، وصححه الألباني برقم (٧٦٠٩) في صحيح الجامع.

لتنسخ أبدًا، وقد يُنسخ الحكم وتبقى مقاصده ثابتة، مستقرة في كل الدين إلى يوم الدين! وهذا منه. وإليك البيان!

لقد كان الصوم - ولم يزل في شريعتنا - انقطاعًا وتبتلًا إلى اللَّه جل وعلا. إنه اشتغال به وحده دون سواه؛ ولذلك تُوظَّف كل طاقات الجسم والنفس معًا في العبادة، والتوجه إلى اللَّه، بحيث لا تشتغل بطعام ولا بشراب ولا بجماع؛ حتى يرد الإذن بذلك من الرحمن! وتنقطع النفس عن كل كلام من اللغو والصخب والرفث (١)؛ حتى تصفو الكلمات بالفم طيبًا من الذكر، أو مما يخدمه من ضرورات الكسب الحلال؛ فيعيش المسلم بذلك لحظات يجد نفسه فيها كلها للَّه! ويكون الصائم إذن صامتًا عن كل منازع الشهوات، فلا كلام يصدر عنه إلا ما عبد اللَّه به، أو خدم ذلك أصالة أو تبعًا! تحقيقًا لحكمة النبوة العظمى، إذ قال ﷺ في بعض وصاياه: « **عليك بحسن الخلق وطول الصمت! فوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما!** » (٢)، وصح من شمائله عليه الصلاة والسلام أنه (كان طويل الصمت قليل الضحك!) (٣).

ذلك سَمْتُ المنقطعين إلى اللَّه، من الأنبياء والصديقين.

---

(١) الصخب: الضجيج والصراخ. والرفث: فاحش الكلام وساقطه.

(٢) رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان وحسنه الألباني، برقم (٤٠٤٨) في صحيح الجامع.

(٣) رواه أحمد وحسنه الألباني، برقم (٤٨٢٢) في صحيح الجامع.

ولا شك أن من مقاصد الصوم تدريب العبد على التخلق بأخلاق ذلك المقام؛ ولذلك قال رسول اللَّه ﷺ: « **ليس الصيام من الأكل والشرب! إنما الصيام من اللغو والرفث! فإن سابَّك أحد، أو جهل عليك؛ فقل: إني صائم! إني صائم!** »[١]، إني صائم: بمعنى إني منقطع عن الخلق إلى رب الخلق! منقطع أكلًا وشربًا وشهوةً، ومنقطع خَطْرَةً وفكرة وعبارة، ومنقطع جسمًا ونفسًا! فلم يبق مني شيء لغير اللَّه! إني صائم!

ويجمع ذلك كله حديث الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى من الحديث القدسي، قال عليه الصلاة والسلام: « **قال اللَّه تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي! وأنا أجزي به! والصيام جُنَّة [٢]! وإذا كان يوم صوم أحدكم؛ فلا يرفث! ولا يصخب! وإن سابَّه أحد أو قاتله؛ فليقل: إني امرؤ صائم! والذي نفس محمد بيده! لَخَلُوف فم الصائم [٣] عند اللَّه أطيب من ريح المسك!** »[٤]؛ إنه انقطاع عن كل صخب أو صراخ أو ضجيج! وانقطاع عن كل جدل عقيم أو مراء يجر إلى ذلك، وانقطاع عن كل ما يمهد أو يُذَكِّر

---

(١) رواه الحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة. وصححه الألباني رقم (٥٣٧٦) في صحيح الجامع.

(٢) جُنَّة: أي وقاية.

(٣) الخلوف: الرائحة الكريهة التي تخرج من فم الإنسان؛ بسبب الجوع والعطش!

(٤) متفق عليه.

بالشهوات! ومن كان للّٰه لم يكن لغيره! حال من الصمت. طيلة اليوم - عن كل ما لا يصب في بحر التعبد من الكلام. حال من الاستسلام الكلي للّٰه رب العالمين. حال من التوظيف الشامل لأعضاء البدن وأشجان النفس في حركة السير إلى اللّٰه. فأي ذِكْرٍ أذْكَرُ من هذا، وأي فِكْرٍ؟ ذلك هو الصوم! فهل أنت تصوم؟

فليس عجبًا أن يخصص الرب الكريم للصائمين - وللصائمين فقط - بابًا من أبواب الجنة لا يدخل منه غيرهم! قال ﷺ: « **إن في الجنة بابًا يقال له: الرَّيَّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة. لا يدخل منه أحد غيرهم! يقال: أين الصائمون؟ فيقومون فيدخلون منه، فإذا دخلوا أُغْلِقَ فلم يدخل منه أحد!** »[1].

ونوافل الصوم في السنة الصحيحة كثيرة، إلا أن ما يمكنك التزامه من الصوم على سبيل الوِرْدِ الدائم هو: مسلكان اثنان. لك أن تختار منهما، ولك أن تجمع بينهما، ولك أن تزيد عليهما بما صحّ في سنة المصطفى ﷺ. لكن؛ بشرط ألا تثقل على نفسك بما يؤثر على فرائض العبادات سلبًا، أو بما يؤدي إلى الفتور الكلي ثم الانقطاع! ولا تنس نصيحة رسول اللّٰه ﷺ: « **اكْلَفُوا من العمل ما تطيقون! فإن**

---

(١) متفق عليه.

الله لا يمل حتى تملوا! وإن أحب العمل إلى الله تعالى أَدْوَمُهُ وإن قل! » [١]، زَوَّدَني الله وإياكم بقوة العزائم في النفس وفي البدن! آمين.

فأما **المسلك الأول**: فهو صيام ثلاثة أيام من كل شهر. هي الأيام البيض من الأشهر العربية، حيث تكتمل دورة البدر في السماء. وهي: أيام ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر. فقد قال رسول الله ﷺ: **« صوم ثلاثة أيام من كل شهر، ورمضان إلى رمضان: صوم الدهر »** [٢]، وقال أيضًا: **« صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر: صوم الدهر! »** [٣] ، وجاء ذلك مفسرًا في حديث آخر بتفصيل، وهو قوله ﷺ: **« صيام ثلاثة أيام من كل شهر: صيام الدهر! وهي أيام البيض: صبيحة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة »**[٤]، وقد صحَّ أنه عليه الصلاة والسلام كان يلتزمها وردًا تعبديًا. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ كان لا يدع صوم أيام البيض في سفر ولا حضر! [٥].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وصححه الألباني، انظر حديث رقم (١٢٢٨) في صحيح الجامع.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد والبيهقي عن أبي هريرة. وصححه الألباني، برقم (٣٨٠٣) في صحيح الجامع.

(٤) رواه النسائي، وأبو يعلى، والبيهقي عن جرير. وحسنه الألباني، برقم (٣٨٤٩) في صحيح الجامع.

(٥) رواه الطبراني، وصححه الألباني، رقم (٤٨٤٨) في صحيح الجامع.

وأما المسلك الثاني: فهو صوم الاثنين والخميس من كل أسبوع، كليهما أو أحدهما، على حسب قدرتك. فقد ثبت قوله ﷺ: « **تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس؛ فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم!** »[١]، وقد تواتر أن النبي ﷺ كان يلتزم ذلك التزامًا! فقد صح أنه ﷺ: كان يتحرى صيام الاثنين والخميس![٢]، وفي حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام: كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس؛ فقيل له؟ [أي سئل عن سبب ذلك] فقال ﷺ: « **الأعمال تعرض كِل اثنين وخميس؛ فيغفر لكل مسلم إلا المتهاجرين، فيقول: أخِّروهما!** »[٣].

• • •

(١) رواه النسائي عن أبي هريرة. وصححه الألباني، برقم (٢٩٥٩) في صحيح الجامع.

(٢) رواه الترمذي والنسائي عن عائشة. وصححه الألباني، برقم (٤٨٩٧) في صحيح الجامع.

(٣) رواه أحمد عن أبي هريرة. وصححه الألباني، برقم (٤٨٠٤) في صحيح الجامع.

تبصرة:
في صوم المقلين السابقين!



فإن لم تستطع التزام وِرْدٍ من المسلَكين المذكُورين؛ لعلة تتعلق بالبدن، أو بطبيعة العمل المهني؛ فَلَكَ عوض عنهما عظيم! وذلك باغتنام فرص العمر العابرة، من صيام النوافل السنوية الكبرى. من مثل صيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء، فقد صحَّ فيهما قول الرسول ﷺ: « صوم يوم عرفة يكفر سنتين: ماضية ومستقبلة! وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية! »[1]، فمن التزمهما معًا، أو أحدهما؛ وِرْدًا لكل سنة؛ كان - بعملية حسابية - كمن صام الدهر كله! ولك أيضًا في صيام ستة أيام من شهر شوال، بعد صيام رمضان من كل سنة النتيجة عينها وربما أعظم! فقد صح قول الرسول ﷺ الصريح المليح: « من صام رمضان، وأتبعه ستًا من شوال كان كصوم الدهر! »[2].

ذلك إذن؛ هو الصوم، فَلَكُ السير العجيب! بُرَاقُ الأوراد، وواردها السري، وذِكْرُها الصامت! حيث يُعبد اللَّه بالترك لا بالفعل! وما أشد الترك على النفس وما أعصاه!

---

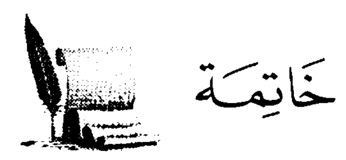
(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة.

لو تدري يا أيها السالك المحب! أن تترك ما تترك للَّه: يعني أنك صرت من أهله! [١]، فاجعل على أورادك تاجًا من الصوم مهما قلَّ؛ تختصر الطريق إلى اللَّه فتكن من أهل الرَّيَّان، متفردًا مع الصديقين والربانيين!

* * *

(١) يجوز استعمال عبارة (أهل اللَّه وخاصته)، لما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه أنس بن مالك ﷺ؛ عن النبي ﷺ، قال: « **إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن هم أهل اللَّه، وخاصته!** » رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم (٢١٦٥).



خَاتِمَة

وخاتمة الكلام - يا أخي - فاتحةُ عَمَلٍ لي ولك إن شاء اللَّه. إذ تَحَصَّل لك من هذا الميثاق ثلاثة عهود:

العهد الأول: وِرْدُ الذِّكْر.

والعهد الثاني: وِرْدُ القرآن والقيام.

والعهد الثالث: ورد البلاغ. وهو ثلاثة مسالك:

أولها: المرابطة للصلوات.

وثانيها: مدارسة القرآن.

وثالثها: بلاغ حقائق الإيمان في الناس.

فتعهد نفسك - أيها السالك المحب - وأصحابكَ بالقرآن تدبرًا، وبلاغًا. فإن لم تجد لك مجلسًا قرآنيًا؛ فَأَوْجِدْه، فإن لم تتمكن، فاسلك ورد القرآن فردًا، ذِكرًا ومتدبرًا.

واحرص على ختمة العمر! وذلك بختم القرآن مدارسة. حتى يكون لك ذِكْرُه - بعد ذلك - سياحة في ملكوت الرحمن، وغذاء متدفقًا على الجنان يحيى به القلب أبدًا.

واجتهد لبلاغ الخير في الأمة؛ واجعل لك رفقة من التائبين؛ ولتغرس لك ولهم جذورًا برياض المسجد، ليستقيم

لك رباط الصلاة صحبة. فهو خير لك من الدنيا وما فيها! وبهذا يتم تناسل الخير في الأمة. فتحاسب نفسك كل يوم، عن جديد صنعك من ذلك.

فآل الأمر إذن إلى ثلاثة أعمال، هي مرجعك للمحاسبة والتقويم: رباط الصلاة، وورد القرآن والأذكار، ثم مجلس القرآن. إذا واثقت عهدك عليها كانت هي ميزان الصدقة والوفاء، لعهد الله وميثاقه. فهل وفيت؟

فاثبت على عملك الصالح، ولا تنقطع عن الخير! ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملًا أثبتوه)[1]. أي أداموه والتزموه.

وليكن مشربك من هذا كله مورد السلف الصالح عقيدة صافية، وسلوكًا ربانيًا، تزينه التقوى، ويجلله الورع. ذلك أن ميدان الذِّكر، وطريق السير إلى الله، كان منذ القديم مزلقًا حرجًا، زَلَّتْ بِقِمَمِهِ أقدام، وتاهت في مسالكه أقلام! لما زينه الشيطان خدعة واستدراجًا، لبعض جهلة العباد، من مخالفة السنة والارتماء في مستنقعات البدع والخرافات.

فالحذر الحذر! مما لا دليل عليه من كتاب الله وسنة رسول الله. فإنما الأوراد عبادات. وقد عُلِم في أصول الفقه:

---

(١) رواه مسلم.

أن مثل هذه الأمور تؤخذ بالقاعدة الشرعية القاضية بأن (الأصل في العبادات المنع حتى يرد الإذن! وأن الأصل في العادات الإذن حتى يرد المنع!).

ثم اعلم بعد هذا كله أنه لن ينفعك من عملك الصحيح ظاهرًا؛ إلا ما خلص لله الواحد القهار باطنًا! فاحذر أن تكون من الأخسرين أعمالًا، ممن وصف الله جل وعلا في القرآن العظيم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] فَابْكِ على خطيئتك، وفكِّر في مصيرك، فإن كل آتٍ قريب. والعاقبة للمتقين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وكتبه بمكناسة الزيتونة:

فريد بن الحسن الأنصاري

الخزرجي عفا اللّٰه عنه وغفر له ولوالديه ولسائر المسلمين وكان تمام تصنيفه وتنقيحه بحمد اللّٰه الأحد ٢١ من ربيع الثاني (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣/٠٦/٢٢م).

* * *

* *

*